الإمام محمد رشيد رضا وموقفه من علم المناسبات في ضوء تفسير المنار
دراسة منهجية تأصيلية

إعداد

د. حمادة ربيع عبد الحكيم عبد الرحيم

مدرس بقسم الدراسات الإسلامية - التفسير وعلوم القرآن

كلية الآداب - جامعة المنيا

الإمام محمد رشيد رضا وموقفه من علم المناسبات في ضوء تفسير المنار "دراسة منهجية تأصيلية"

حمادة ربيع عبد الحكيم عبد الرحيم
قسم الدراسات الإسلامية – التفسير وعلوم القرآن، كلية الآداب، جامعة المنيا، المنيا، مصر
البريد الإلكتروني: hamada12@mu.edu.eg

ملخص البحث:

يعد علم المناسبات من العلوم المهمة التي تساعد المسلم على التدبر والتفكر؛ وهو العلم الذي يعتمد على النظر في الروابط بين الآيات والسور، وقد أولى العلماء هذا العلم عناية فائقة، حيث تعرضوا له في كتبهم تأصيلًا وتقعيدًا وتطبيقًا. وممن أسهم في العناية بهذا العلم الإمام محمد رشيد رضا، من خلال تفسيره. وقد عني رشيد رضا بالمناسبات عناية واضحة حتى صارت مَعْلمًا من معالم تفسيره، وهذا ما لفتت انتباه الباحثين في علوم القرآن والتفسير، فأشاروا إلى اهتمامه بهذا العلم. كما تميز منهجه في ذكر المناسبات بالدقة في العبارة والإيجاز الشديد، فهو يذكر وجوه المناسبة بين الآيات والسور والقصص. لذلك كان علم المناسبات من العلوم التي ينبغي أن تتفرغ لها جهود العلماء والمهتمين بالدراسات القرآنية، فهو مما يعين على الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: المناسبات, الإعجاز, الآية, السورة, المقاطع, التدبر, التفكر, العلم, الأسلوب

Occasions of Qur'anic Verses in the Interpretation of the Wise Qur'an by Imam Rashid Rida

Hamada Rabie Abdel Hakim Abdel Rahim

Department of Islamic Studies, Faculty of Arts, Minia University, Minia, Egypt

Email: hamada12@mu.edu.eg

Abstract:

The science of occasions is one of the important sciences that helps the Muslim to cogitate and contemplate. It is the science that depends on looking at the links between the verses and the surahs, and the scholars have given this science great care, as they presented to it in their books, rooting, ruling and applying it. Among those who contributed to the care of this science was Imam Muhammad Rashid Rida, through his interpretation. Rashid Rida focused on occasions with clear care until they became a mark of his interpretation, and this is what drew the attention of researchers in the sciences of the Qur'an and interpretation, so they indicated his interest in this science. His approach to mentioning the occasions is also distinguished by its accuracy in expression and extreme brevity, as he mentions the appropriate aspects between verses, surahs and stories. Therefore, the science of occasions is one of the sciences to which the efforts of scholars and those interested in Qur'anic studies should be devoted. It is what helps in the correct understanding of the Book of Allah, Exalted.

Keywords: occasions, miracle, verses, surah, syllables, cogitation. contemplation, science, method.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَعَالِي عَنْ الشَّبِيهِ وَالنَّظِيرِ، الْمُنَزَّهِ عَنْ وَصْفٍ يُدْرِكُ بِهِ حِسٌّ، أَوْ يَخْتَلِجُ بِهِ ضَمِيرٌ. أَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَسْبَغَ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَأَبْلَغَ مِنْ دَقِيقِ حِكْمَتِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةَ مُتَحَقِّقٍ لِعُبُودِيَّتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُم بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِين.

وبعد، فإنّ علم التفسير يُعد من أشرف العلوم على الإطلاق؛ لأنّه العلم الذي يدور في فلك بيان وتفسير أجل وأعظم كتاب - القرآن الكريم - الذي {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد}(١). وقد قيَّض الله تعالى من أبناء هذه الأمة من يقوم على رعايته حفظًا ومدارسَة، بتجلية حقائقه وإظهار معجزاته من خلال دراسة موضوعاته المتعددة. وقد دعانا الله تعالى إلى قراءته وتدبر آياته، وفهم أسراره، ومعرفة أحكامه، فقال تعالى:{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}(٢).

ومما يُعين على هذا التدبر والتفكر؛ علم المناسبات، وهو العلم الذي يعتمد على النظر في الروابط بين الآيات والسور والمقاطع القرآنية، وقد أولى العلماء - قديمًا وحديثًا - هذا العلم عنايةً فائقةً، حيث تعرضوا له في كتبهم

(١) سورة فصلت، الآية، (٤٢).

(٢) سورة ص، الآية، (٢٩).

تأصيلًا وتقعيدًا وتطبيقًا. وممن أسهم في العناية بهذا العلم - حديثًا - الإمام محمد رشيد رضا، من خلال تفسيره الموسوم بتفسير: (المنار)، فقد تعرَّض له في تفسيره بصورةٍ واضحةٍ، من خلال ذكره للمناسبات بين آيات وسور القرآن، وقد بذل في ذلك جهدًا كبيرًا ووقتًا كثيرًا، حتى ظهر للناس في عبارةٍ دقيقة رقيقةٍ، وأسلوبٍ جذَّابٍ، مترابطٍ، محكم.

ولِمَا لهذا التفسير من أهمية، فقد تسابق الباحثون في البحث عن جوانبه المتنوعة والمتعددة. هذا، ولَمَا كان علم المناسبات يُمَثِّل أحدَ تلك الجوانب المهمة التي اهتمَّ بها الإمام محمد رشيد رضا في تفسيره، رأيت أنْ يكون بحثي في هذا الموضوع من خلال ذلك التفسير، مبينًا تلك المناسبات، التي تعرَّض لها الإمام. فكان هذا البحث: الإمام محمد رشيد رضا وموقفه من علم المناسبات في ضوء تفسير المنار " دراسة منهجية تأصيلية ".

أهمية البحث وأسباب اختياره:

ترجع أهمية البحث وأسباب اختياره إلى عدة أمور، هي:

- الاسهام في إبراز أحد الجوانب المهمة في عملية التدبر والتفكر وهو علم المناسبات، الذي يعتمد على التأمل الدقيق لأوجه الاتصال بين الآيات والسور والمقاطع القرآنية.
- معالجة ظاهرة التقليد المحض، الذي عطل العقول والمدارك عن مسايرة دورها في التدبر والتعقل والتفكر.
- إثبات ما يتمتع به القرآن من اتصال محكم، وتناسق دقيق، وتآلف مُشّوق بين سوره وآياته، ومقاطعه، والتأكيد على أنّ هذا الاتصال

المحكم يُعد وجهًا من أوجه إعجازه، ودلالة حقيقية على أنّ القرآن الكريم إنّما هو كلام الله تعالى وحده.

تساؤلات البحث:

يُجيب هذا البحث عن عدة تساؤلات، منها:

- هل علم المناسبات علم قديم أم حادث؟.
- ما المقصود بعلم المناسبات في القرآن الكريم؟.
- هل يوجد معارضون لعلم المناسبات في القرآن؟.
- هل يؤيد الإمام محمد رشيد رضا وجود علم المناسبات في القرآن أم يعارض؟.
- ما مدى الافادة من تعلم علم المناسبات؟.

الدراسات السابقة:

بعد القراءة والبحث المتأني عما كُتب من موضوعات فيما خلفه الإمام محمد رشيد رضا من تراث علمي، لم أجد - فيما اطلعت عليه - من دراسات منشورة تتكلم عن علم المناسبات في تفسير المنار؛ لذا فقد استعنت بالله للكتابة فيه.

منهج البحث:

تقتضي سلامة الوصول إلى نتائج صحيحة؛ أن أتبع في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، الذي يعتمد على عملية القراءة المتأنية وتحليلها؛ ومن ثمّ استخراج ما يُمكن استخراجه من المناسبات القرآنية،

وربط ما ورد منها وبين الواقع الحاضر - ما أمكن ذلك - على اعتبار أنّ ما وقع من مناسبات قرآنية يُعد إحدى أهم قواعد الإصلاح في المجتمع.

خُطة البحث:

ومن خلال تفسير المنار، نحاول استنطاق ألفاظه، وسبر أغواره؛ كي يُبِينَ لنا عن مظاهر اهتمام صاحبه بهذا الجانب الإعجازي، ولبيان ذلك فقد جاء البحث في مقدمة تناولت فيها: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والتساؤلات التي تدور حوله، والدراسات التي تدور حوله، والمنهج المتبع للوصول إلى نتائج صحيحة، والخطة التي سيقوم عليها، ثم أردفت ذلك بثلاثة مباحث، وهي:

المبحث الأول: الإمام رشيد رضا وكتابه المنار، وفيه ثلاثة مطالب.

- المطلب الأول: التعريف بالإمام وكتابه.
- المطلب الثاني: عناية رشيد رضا بالمناسبات القرآنية.
- المطلب الثالث: معالم البحث في المناسبات القرآنية.

وأما المبحث الثاني: التعريف بعلم المناسبات، وقد جاء في مطلبين:

- المطلب الأول: تعريف المناسبة لغة واصطلاحًا.
- المطلب الثاني: فوائد المناسبات وموقف العلماء منها.

والمبحث الثالث: أنواع المناسبات في تفسير المنار. وفيه ثماني نقاط:

- أولًا: المناسبة بين أجزاء الآية.

- ثانيًا: المناسبة بين الآية والآية.
- ثالثًا: المناسبة بين الآية والآيات التي تسبقها أو تلحقها.
- رابعًا: المناسبة بين الآية والقصة.
- خامسًا: المناسبة بين القصة والقصة.
- سادسًا: المناسبة بين الأحكام الفقهية.
- سابعًا: المناسبة بين أجزاء السورة وخاتمتها.
- ثامنًا: المناسبة بين السورة والسورة.

وبعد المباحث الثلاثة، جاءت الخاتمة، وبها أهم نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأول

الإمام رشيد رضا وكتابه المنار

المطلب الأول

التعريف بالإمام وكتابه.

أولا: التعريف بالإمام.

يُعدّ الإمام رشيد رضا أحد رجالات التجديد والإصلاح البارزين في هذا العصر. فهو من أبرز تلاميذ الأستاذ الإمام محمد عبده.

- **اسمه**: هو العلامةُ السلفي محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن السيد بهاء الدين بن السيد بن علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، والحسيني النسب. ولد في ١٢٨٢هـ، بقريةِ القلمون[(١)].

يقول رشيدُ رضا: "إِنَّ لي في هذهِ الدنيا وَطَنَينِ: وطن النشأَةِ والتربيةِ وهو سوريا، فإِنَني وُلدتُ في قريةِ القلمون المجاورةِ لطرابلس الشام، في ساحلِ لبنانَ، وتعلمتُ في طرابلس، ووطن العملِ وهو مصر، التي أَقمتُ فيها إِحدى عشرةَ سنةً أَدعو إِلى الإِصلاحِ الدينيِ والاجتماعيِ والسياسيِ، وأَقرأُ الدروسَ وأَعملُ في بعضِ الجمعياتِ"[(٢)].

- **شيوخه**: يقول رشيدُ رضا: أنَ عِلمَه إلهَامِي من اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وليسَ بتوجيهٍ

(١) انظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، (ت١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، جـ٦، ص ١٢٦.

(٢) مجلة المنار، مج، ٨٨١/١١.

من أبيهِ أو شيخٍ من الشيوخِ. إذ يقول: " إذا كانَ بعضُ ما يُكتَسَبُ عَادَةً بإرشادِ المربي والمعلمِ، فإنهُ قد كانَ عندي أشبهُ بالوحي الإلهامي.."[1]. كما يُؤكد على أنه قد أخذَ عن شيوخهِ الكثيرَ من العلمِ والأدبِ، والزهدِ، واستفادَ منهم، كما يستفيدُ التلميذ من أُستاذهِ.

- **آثاره**: خَلَّفَ رشيد رضا عددًا كبيرًا من المؤلفاتِ العلمية، في مُختَلَفِ نَوَاحِي المعرفة، منها تفسير القرآن العظيم الشهير بتفسير (المنار) مطبوع، ومؤلفات أخرى في علومِ القرآنِ، وأصولِ الدينِ، والفقهِ، والتاريخِ، والإصلاحِ. منها: مجلة المنار وتقع في ٣٥ مجلدًا، تاريخ الأستاذ محمد عبده، نداء للجنس اللطيف، الوحي المحمدي، المنار والأزهر، ترجمة القرآن وما فيها من المفاسد، ذكر المولد النبوي، الوحدة الإسلاميـــة، الخلافة أو الإمامة العظمى، سير الإسلام وأصول التشريع العام، مناسك الحج وأحكامه، وغير ذلك. وغير ذلك[2].

- **أقوال العلماء فيه:**

قال عنه العلامة شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي:" كان فقيد الإسلام السيد محمد رشيد رضا محيطًا بعلوم القرآن، وقد رزقه الله عقلًا راجحًا في فهمه ومعرفة أسراره وحكمه، واسع الاطلاع على السنة وأقضيه الصحابة وآراء العلماء، عارفًا بأحوال المجتمع والأدوار التي مر بها التاريخ

(١) مجلة المنار، مج، ٧ /٥٣٦.

(٢) انظر: د. مشاري سعيد المطرفي، فتاوى العلامة محمد رشيد رضا الفقهية، ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م، ص٢٤،٢٥.

الإسلامي. وكان شديد الإحاطة بما في العصر الذي يعيش فيه، خبيرًا بأحوال المسلمين في الأقطار الإسلامية، ملمًا بما في العالم من بحوث جديدة، وبما يحدث من المعارك بني العلماء وأهل الأديان؛ فهو ممن أوتي الحكمة، ورزق الخير الكثير"[(١)] .

ويقول عنه علامة الجزائر الشيخ عبد الحميد ابن باديس: " لقد كان الأستاذ نسيج وحده في هذا العصر، فقهًا في الدين، وعلمًا بأسرار التشريع، وإحاطة بعلوم الكتاب والسنة، ذا منزلة كاملة في معرفة أحوال الزمان وسير العمران والاجتماع، وكفى دليلًا على ذلك ما أصدره من أجزاء التفسير، وما أودعه مجلة المنار في مجلداتها التي نيفت على الثلاثين، وما أصدره من غيرهما.."[(٢)] .

- **وفاته**: أُصيبَ العالم الإسلامي بِفَقدِ عالمٍ جليل ورجلٍ عظيمٍ من رجالات التجديد والإصلاحِ الإسلاميِ، وكانت وفاته فجأة، عام ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م. ودُفن بالقاهرة[(٣)].

ثانيًا: التعريف بتفسير المنار.

بدأت حكاية كتابة تفسير المنار بمجرد اقتراح مقدم من الإمام رشيد رضا لأستاذه الإمام محمد عبده بكتابة تفسير يقتصر فيه على حاجة العصر، مع بيان لما أهمله المفسرون في تفاسيرهم، غير أنَّ هذا الاقتراح قوبل

(١) د. مشاري سعيد المطرفي، فتاوى العلامة محمد رشيد رضا الفقهية، ص٢٤.

(٢) نفس المرجع، ص٢٥.

(٣) انظر: الزركلي، الأعلام، ١٢٦/٦.

بالرفض من الأستاذ الإمام متعللًا بقوله: "الكتب لا تفيد القلوب العُمي...، إذا وصل لأيدي هؤلاء العلماء كتابٌ فيه غير ما يعلمون، لا يعقلون المراد منه، وإذا عقلوا منه شيئًا يردونه، ولا يقبلونه، وإذا قبلوه حرَّفوه إلى ما يوافق علمهم ومشربهم، كما جروا عليه في نصوص الكتاب والسنة التي نريد بيان معناها الصحيح، وما تُفيده"(١).

وقد دافع رشيد رضا عن اقتراحه، بقوله: " إِنَّ الزَّمَانَ لَا يَخْلُو مِمَّنْ يُقدِرُ كَلَامَ الْإِصْلَاحِ قَدْرَهُ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلِينَ، وَسَيَزِيدُ عَدَدُهُمْ يَوْمًا فَيَوْمًا، فَالْكِتَابَةُ تَكُونُ مُرْشِدًا لَهُمْ فِي سَيْرِهِمْ. وَإِنَّ الْكَلَامَ الْحَقَّ وَإِنْ قَلَّ الْآخِذُ بِهِ وَالْعَارِفُ بِشَأْنِهِ، لَا بُدَّ أَنْ يُحْفَظَ وَيَنْمُوَ بِمُصَادَفَةِ الْمَبَاءَةِ الْمُنَاسِبَةِ لَهُ"(٢).

والملاحظ، أن مشروع كتابة تفسير المنار لم يكن منذ اللحظة الأولى استجابة للآمر العلمي عند صاحبيه، وإنما كان استجابةً معرفية لمشروع إصلاحي. ولَمْ يزَلْ السيد رشيد رضا بِأستاذه حَتَّى أَقْنَعه بِقِرَاءَةِ التَّفْسِير، فَاقْتَنَعَ وَبَدَأَ بِالدَّرْسِ فِي الْأَزْهَرِ الشريف. وكان منهج الإمام محمد عبده هو التَوَسُّع فِيمَا أَغْفَلَهُ أَوْ قَصَّرَ فِيهِ الْمُفَسِّرُونَ، وَالاختصار فِيمَا بَرَزُوا فِيهِ مِنْ مَبَاحِث الْأَلْفَاظِ وَالْإِعْرَابِ وَنُكَتِ الْبَلَاغَةِ...(٣).

وكان رشيد رضا: يكتب فِي أَثْنَاءِ إِلْقَاءِ دَرْسِ أستاذه مُذَكِّرَاتٍ يودِعُهَا

(١) محمد رشيد بن علي رضا(ت١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، جـ١، ص١٣.

(٢) نفس المرجع،١/١٤. والْمَبَاءَة هي، منزل القوم في كل موضع، أو المَرْجِعُ.

(٣) انظر: رشيد رضا، المنار، ١/١٤.

أَهَمَّ مَا يقوله، وَيحْفَظُ مَا يكْتُبُ لِأَجْلِ أَنْ يُبَيِّضَهُ، وَيمُدَّهُ بِكُلِّ مَا يتَذَكَّرُهُ فِي وَقْتِ الْفَرَاغِ.

يقول رشيد رضا: " وَلَا أَذْكُرُ أَنَّهُ انْتَقَدَ شَيْئًا مِمَّا لَمْ يَرَهُ قَبْلَ الطَّبْعِ، بَلْ كَانَ رَاضِيًا بِالْمَكْتُوبِ، بَلْ مُعْجَبًا بِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ كُلُّهُ نَقْلًا عَنْهُ وَمَعْزُوًّا إِلَيْهِ، بَلْ كَانَ تَفْسِيرًا لِلْكَاتِبِ مِنْ إِنْشَائِهِ...."[1].

وبعد أن استقل الإمام رشيد رضا بكتابة التفسير، خالف مَنْهَجَهُ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى -" بِالتَّوَسُّعِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْآيَةِ مِنَ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ، سَوَاءٌ كَانَ تَفْسِيرًا لَهَا أَوْ فِي حُكْمِهَا، وَفِي تَحْقِيقِ بَعْضِ الْمُفْرَدَاتِ أَوِ الْجُمَلِ اللُّغَوِيَّةِ وَالْمَسَائِلِ الْخِلَافِيَّةِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ، وَفِي الْإِكْثَارِ مِنْ شَوَاهِدِ الْآيَاتِ فِي السُّوَرِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَفِي بَعْضِ الِاسْتِطْرَادَاتِ لِتَحْقِيقِ مَسَائِلَ تَشْتَدُّ حَاجَةُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى تَحْقِيقِهَا، بِمَا يُثَبِّتُهُمْ بِهِدَايَةِ دِينِهِمْ فِي هَذَا الْعَصْرِ"[2].

وبعد وفاة الإمام محمد عبده سنة (١٣٢٣هـ/١٩٠٥م) استقلَّ رشيد رضا بكتابة التفسير، وكان ينوي القيام بتفسيرٍ كامل للقرآن الكريم، ويظهر هذا جليًا من كلامه في نهاية معظم مجلدات تفسيره، وذلك عندما كان يطلب من الله أن يعينه على إتمام هذا التفسير، لكن قضاء الله تعالى حال دون تنفيذ ما كان ينوي ويضمر، إذ توفاه الله تعالى بعد فراغه من تفسير سورة يوسف.

ثالثًا: نشاطه في التجديد والإصلاح.

اتخذ رشيدُ رضا قريته قبلة لدعوتهِ الإصلاحية، فكانَ يُلقي في مسجدِها

(١) رشيد رضا، المنار، ١٥/١.

(٢) نفس المرجع، ١٦/١.

الدروسَ، ويبسطُ لهم المسائل، ويحاربُ البدعَ، ويذهبُ إلى الناسِ في تجمعاتِهم التي اعتادوا الجلوسَ فيها، لِيَعِظهم ويحثهم على أداء الصلاةِ، وقد أثمرت هذهِ السياسةُ المبتكرةُ، فأقبلَ كثيرٌ منهم على أداء الفروض[1].

في تلك الفترةِ التي كانَ رشيدُ رضا يهتمُ فيها بالدعوة إلى الإصلاحِ في قريتهِ وصلت بعضُ أعداد جريدة العروة الوثقى إليه، التي أصدرها السَيد جَمَال الدينِ الأَفغانيِ، والأُستاذ الإمام محمد عبده بعد نفيهما من مصرَ. إثر انطلاق حركة الإصلاح الكُبرَى، والتي دَوّى صِيتُهَا بِقِيَادَةِ العالمين الجليلين، جَمَال الدينِ الأَفغانيِ، والأُستاذ الإمام.

هذا، ولما ملكت دعوةُ الأفغاني ومحمد عبده قلب رشيد رضا، فكانت ضالته المنشودة، قرر أن يجعلَ الصحافةَ ميدانًا لدعوتهِ التجديدية الإصلاحية، فبدأ بإقناع أستاذه محمد عبده بإنشاء صحيفة، تهدف إلى تربية النشء، وتقاوم الجهل والخرافات، وتؤسس لمفهوم أن الدين يتفقُ مع العقل والعلم، وقد لاقى هذا الاقتراح قبولًا من الإمام محمد عبده، فأنشئت الصحيفة تحت اسم، "مجلةُ المنارِ" وصدرَ العددُ الأول منها في ٢٢ شوال ١٣١٥هـ /١٥ مارس ١٨٩٨م.

وقد كان رشيد رضا يحرصُ على عرضِ كل ما يكتبهُ قبلَ نشرهِ على أستاذه، ولم تمض بضع سنواتٍ على صدور المجلة حتى ذاع صِيتهَا وانتشر في أرجاء العالمِ الإسلاميِ وغيرهِ، وأصبحت المنارُ المجلةُ الإسلامية الأُولى

(١) مجلة المنار، مج، ١٥٣/٢.

في العالمِ الإسلاميِ[1].

المطلب الثاني: عناية رشيد رضا بالمناسبات القرآنية.

الناظر المدقق في تفسير المنار يلحظ عناية صاحبيه بعلم المناسبات بين الآيات حتى صار هذا العلم مَعْلمًا من معالم التفسير. وعنايتهما به جاء من خلال إظهار الترابط بين الآيات وبعضها.

فرشيد رضا ومن قبله أستاذه الإمام محمد عبده كانا مولعين ولعًا شديدًا بذكر المناسبات بين الآيات والكشف عن أسرارها؛ يقول الْإِمَامُ محمد عبده، وهو يثني على أسلوب القرآن، ردًا على من يعيبون أسلوبه في عَدَم ترْتِيبِ قَصَصِه، وقد ذكروا قصة موسى، بقولهم: إِنَّ الِاسْتِسْقَاءَ وَضَرْبَ الْحَجَرِ كَانَ قَبْلَ التِّيهِ وَقَبْلَ الْأَمْرِ بِدُخُولِ تِلْكَ الْقَرْيَةِ، فَذُكِرَ هُنَا بَعْدَ تِلْكَ الْوَقَائِعِ.

يقول الأستاذ الإمام: " وَالْجَوَابُ عَنْ هَذِهِ الشُّبْهَةِ يُفْهَمُ مِمَّا قُلْنَاهُ مِرَارًا فِي قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ الْوَارِدَةِ فِي الْقُرْآنِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ بِهَا التَّارِيخَ وَسَرْدَ الْوَقَائِعِ مُرَتَّبَةً بِحَسْبِ أَزْمِنَةِ وُقُوعِهَا، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهَا الِاعْتِبَارُ وَالْعِظَةُ بِبَيَانِ النِّعَمِ مُتَّصِلَةً بِأَسْبَابِهَا لِتُطْلَبَ بِهَا، وَبَيَانِ النِّقَمِ بِعِلَلِهَا لِتُتَّقَى مِنْ جِهَتِهَا"[2].

يقول رشيد رضا:" وَالْوَجْهُ فِي التَّنَاسُبِ عِنْدِي أَنْ يُبْنَى عَلَى أُسْلُوبِ الْقُرْآنِ الَّذِي امْتَازَ بِهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ، مِنْ حَيْثُ كَوْنِهِ مَثَانِيَ لِلْهِدَايَةِ،

(١) انظر: رشيد رضا، المنار،١/١٤.

(٢) نفس المرجع، ١/٢٧١.

وَالْمَوْعِظَةِ، وَالْعِبْرَةِ.."[1].

وولع رشيد رضا بالمناسبات القرآنية نتج عنه ثلاث ظواهر تفسيرية متعلقة بعلم المناسبة وهي:

١. كثرة ثنائه على أسلوب القرآن في النظم والترتيب.

٢. بدؤه بذكر مناسبة الآية عند القيام بتفسيرها.

٣. اجتهاده في استنباط وجوه المناسبات بين الآيات والسور.

- أولًا: كثرة ثنائه على أسلوب القرآن في النظم والترتيب.

ومما يدل على عناية رشيد رضا بعلم المناسبات الثناء الدائم على الترتيب والنظم القرآني؛ فهو يصفه بأنه من أظهر وجوه الإعجاز القرآني، يقول: " وَلَعَمْرِي إِنَّ وُجُوهَ الِاتِّصَالِ بَيْنَ الْآيَاتِ وَمَا فِيهَا مِنْ دَقَائِقِ الْمُنَاسَبَاتِ لَهِيَ ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الْبَلَاغَةِ، وَفَنٌّ مِنْ فُنُونِ الْإِعْجَازِ، إِذَا أَمْكَنَ لِلْبَشَرِ الْإِشْرَافُ عَلَيْهِ فَلَا يُمْكِنُهُمُ الْبُلُوغُ إِلَيْهِ"[2].

كما أنه لا يكاد ينتهي من ذكر المناسبة حتى يقوم بتذييلها بجملة من الثناء على ترتيب القرآن الكريم ونظمه، وإليك بعض عباراته في ذلك:

يقول رشيد رضا: بعد ذكره للمناسبة بين الْآيَةِ وَمَا قَبْلَهَا: في قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ

(١) رشيد رضا، المنار، ٦/ ٣٠٥.

(٢) نفس المرجع، ١/٢٠٦.

عَلِيمٌ}[1]. " وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ الْبَيَانِ مِمَّا امْتَازَ بِهِ الْقُرْآنُ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ، فَإِنَّكَ لَتَرَى فِيهِ فُنُونًا مِنَ الِاسْتِدْرَاكِ وَالِاحْتِرَاسِ، قَدْ جَاءَتْ فِي خِلَالِ الْقَصَصِ وَسِيَاقِ الْأَحْكَامِ، تَقْرَأُ الْآيَةَ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ، أَوْ عِظَةٍ مِنَ الْمَوَاعِظِ، أَوْ وَاقِعَةٍ تَارِيخِيَّةٍ فِيهَا عِبْرَةٌ مِنَ الْعِبَرِ، فَتَرَاهَا مُسْتَقِلَّةً بِالْبَيَانِ، وَلَكِنَّهَا بِاتِّصَالِهَا بِمَا قَبْلَهَا قَدْ أَزَالَتْ وَهْمًا أَوْ تَمَّمَتْ حُكْمًا.."[2].

ويؤكد عنايته بعلم المناسبات حينما يُقدم الثناء على أسلوب القرآن بين يدي المناسبة، ويظهر ذلك عند ذكره للمناسبة بين أجزاء سورة المائدة. بقوله: " فَمَجْمُوعُ آيَاتِ السُّورَةِ، فِي هَذَيْنِ الْمَوْضُوعَيْنِ، وَإِنَّمَا لَمْ تُجْعَلْ آيَاتُ الْأَحْكَامِ كُلُّهَا فِي أَوَّلِ السُّورَةِ، وَتُجْعَلُ الْآيَاتُ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ مُتَّصِلًا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ فِي بَاقِيهَا لِمَا بَيَّنَّاهُ غَيْرَ مَرَّةٍ فِي حِكْمَةِ مَزْجِ الْمَسَائِلِ وَالْمَوْضُوعَاتِ.. عَلَى أَنَّ فِي نَظْمِهِ وَتَرْتِيبِ آيِهِ مِنَ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الْمَسَائِلِ الْمُخْتَلِفَةِ مَا يُدْهِشُ أَصْحَابَ الْأَفْهَامِ الدَّقِيقَةِ بِحُسْنِهِ وَتَنَاسُقِهِ"[3].

كما كان رشيد رضا يبدأ تفسير الآية - في غالب الأحيان - من خلال ربطه بين سياق الآية وما قبلها وما بعدها، حتى لكأنك تشعر بأن الآيات

(١) سورة البقرة، الآية، (١١٥).

(٢) رشيد رضا، المنار، ٣٥٩/١.

(٣) نفس المرجع، ١٨/٧. فقد بدأت هَذِهِ السُّورَةَ ببعض أَحْكَامِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالنُّسُكِ، وقد كان من بينها حِلُّ طَعَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ، التَّزَوُّجُ مِنْهُمْ، الطَّهَارَة، الْعَدْلُ، ثُمَّ دار سِيَاق طَوِيل فِي أَهْلِ الْكِتَابِ وَمُحَاجَّتِهِمْ، فَكَانَ أَوْفَى وَأَتَمَّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ، وَقد تَخَلَّلَهُ القَلِيلُ مِنْ آيَاتِ الْأَحْكَامِ، ثم العود إِلَى أَحْكَامِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالنُّسُكِ الَّتِي بُدِئَتْ بِهَا السُّورَةُ، ثم إِلَى مُحَاجَّةِ أَهْلِ الْكِتَابِ.

وكأنها حبات عقد متتابعة بعضها في إثر بعض، ثم يذكر بعد ذلك أقوال بعض علماء المناسبة، كالإمام الرازي أو الألوسي وغيرهما[1].

(١) ومثال ذلك ما ذكره رشيد رضا في قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} بَيَّنَّا فِي تَفْسِيرِ قوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ افْتُتِحَتْ بِآيَاتٍ مِنْ أَحْكَامِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فِي الطَّعَامِ وَأَحْكَامِ النُّسُكِ (وَمِنْهَا الصَّيْدُ فِي أَرْضِ الْحَرَامِ أَوْ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ) وَتَلَاهَا سِيَاقٌ طَوِيلٌ فِي بَيَانِ أَحْوَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمُحَاجَّتِهِمْ، ثُمَّ عَادَ الْكَلَامُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ تَفْصِيلِ تِلْكَ الْأَحْكَامِ إِلَخْ، وَنَقُولُ الْآنَ إِنَّ اللهَ جَلَّتْ آلَاؤُهُ نَهَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ تَحْرِيمِ الطَّيِّبَاتِ وَمِنَ الِاعْتِدَاءِ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا، وَأَمَرَهُمْ بِأَكْلِ الْحَلَالِ وَالطَّيِّبِ، وَلَمَّا كَانَ بَعْضُ الْمُبَالِغِينَ فِي النُّسُكِ قَدْ حَلَفُوا عَلَى تَرْكِ بَعْضِ الطَّيِّبَاتِ بَيَّنَ لَهُمْ بِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ كَفَّارَةَ الْأَيْمَانِ، ثُمَّ بَيَّنَ لَهُمْ تَحْرِيمَ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ لِأَنَّهَا مِنْ أَخْبَثِ الْخَبَائِثِ، فَكَانَ هَذَا وَذَاكَ مُتَمِّمًا لِمَا فِي أَوَّلِ السُّورَةِ مِنْ أَحْكَامِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَنَاسَبَ أَنْ يُتَمِّمَ أَحْكَامَ الصَّيْدِ فِي الْحُرُمِ وَالْإِحْرَامِ أَيْضًا فَجَاءَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ فِي ذَلِكَ.

وَقَالَ الرَّازِيُّ فِي مُنَاسَبَةِ هَذَا لِمَا قَبْلَهُ مَا نَصُّهُ: وَوَجْهُ النَّظْمِ أَنَّهُ تَعَالَى كَمَا قَالَ: (لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ) ثُمَّ اسْتَثْنَى الْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ مِنْ تِلْكَ فَكَذَلِكَ اسْتَثْنَى هَذَا النَّوْعَ مِنَ الصَّيْدِ عَنِ الْمُحَلَّلَاتِ وَبَيَّنَ دُخُولَهُمْ فِي الْمُحَرَّمَاتِ انْتَهَى وَمَا قُلْنَاهُ خَيْرٌ". انظر: رشيد رضا، المنار، ٨٤/٧.

- ثانيًا: بدؤه بذكر مناسبة الآية عند القيام بتفسيرها.

ولعل ما يدل كذلك على عناية رشيد رضا بعلم المناسبات القرآنية هو بدؤه بذكر مناسبة الآية عند القيام بتفسيرها.

ففي تفسير قوله تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[1]. يقول رشيد رضا في بداية كلامه في تفسير هذه الآية: " فَالْكَلَامُ مُتَّصِلٌ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ؛ وَلِذَلِكَ عَطَفَ الْجُمْلَةَ عَلَى مَا قَبْلَهَا؛ لِأَنَّهَا مُتَمِّمَةٌ لِفَائِدَتِهَا، إِذْ لَا بُدَّ بَعْدَ بَيَانِ جَزَاءِ الْكَافِرِينَ، مِنْ بَيَانِ جَزَاءِ الْمُؤْمِنِينَ"[2].

- ثالثًا: اجتهاده في استنباط وجوه المناسبات بين الآيات والسور.

ومما يدل كذلك على عناية رشيد رضا بعلم المناسبات القرآنية؛ أنه لا يكتفي بذكر وجه واحد للمناسبة بين الآيات والسور، وإنما يجتهد في استنباط وجوه عديدة للربط بينها.

ففي الحديث عن وجوه الاتصال بين سورة آل عمران والبقرة، يقول: " الِاتِّصَالُ بَيْنَ هَذِهِ السُّورَةِ، وَمَا قَبْلَهَا، مِنْ وُجُوهٍ:

فَمِنْهَا: "الدُّعَاءُ فِي آخِرِ كُلٍّ مِنْهُمَا. فَالدُّعَاءُ فِي الْأُولَى يُنَاسِبُ بَدْءَ الدِّينِ؛ لِأَنَّ مُعْظَمَهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّكْلِيفِ وَطَلَبِ النَّصْرِ عَلَى جَاحِدِي الدَّعْوَةِ

(١) سورة البقرة، الآية، (٢٥).

(٢) رشيد رضا، المنار، ١٦٢/٢.

وَمُحَارِبِي أَهْلِهَا. وَفِي الثَّانِيَةِ يُنَاسِبُ مَا بَعْدَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ الْكَلَامَ فِي قَبُولِ الدَّعْوَةِ وَطَلَبِ الْجَزَاءِ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ.

وَمِنْهَا: مَا قَالَهُ بَعْضُهُمْ مِنْ خَتْمِ الثَّانِيَةِ بِمَا يُنَاسِبُ بَدْءَ الْأُولَى؛ كَأَنَّهَا مُتَمِّمَةٌ لَهَا؛ ذَلِكَ أَنَّهُ بَدَأَ الْأُولَى بِإِثْبَاتِ الْفَلَاحِ لِلْمُتَّقِينَ. وَخَتَمَ الثَّانِيَةَ بِقَوْلِهِ: وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[1].

(١) انظر: رشيد رضا، المنار، ١٢٧/٣.

المطلب الثالث

معالم البحث في المناسبات القرآنية.

من خلال النظرة المتأنية في تفسير المنار تبيَّن أن اهتمام صاحبه بعلم المناسبات ينبعث من ثلاثة منطلقات، والتي كانت دافعًا لرشيد رضا للبحث عن أسرار الترتيب والنظم القرآني، ولعل من هذه المعالم[1].

١. توقيف النظم القرآني.

٢. دوران سور القرآن حول المقصود الأعظم.

٣. الطريقة المعهودة للقرآن في عرض القضايا.

أولا: توقيف النظم القرآني.

تحدى الله العرب أن يأتوا بسورة من مثل سور القرآن، في قوله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ..}[2]. ثم تحداهم في أن يأتوا بعشر سور من مثله، في قول تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ..}[3]. وأخيرًا تحداهم بأن يأتوا بمثله في

(١) المعالم: جمع معلم، وهو في اللغة، الأثر الذي يُستدل به على الطريق، ومْعَلَم الطريق، دلالته، والمَعْلَم، ما جُعل علامةً وعَلَمًا للطريق والحدود، مثل: أعلام الحرم ومعالمه المضروبة عليه". "ومعلم الطريق دلالته وكذلك معلم الدين على المثل، ومعلم كل شيء مظنته، وفلان معلم للخير كذلك. انظر: الزَّبيدي، تاج العروس، فصل السين، ابن منظور، لسان العرب، باب (علم)، ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، باب مقلوبة (ع م ل).

(٢) سورة البقرة، جزء من الآية، (٢٣).

(٣) سورة هود، جزء من الآية، (١٣).

قول تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ..}[1]. وعليه، فإنه إذا كان التحدي قد وقع في الآيات والسور والكل على حد سواء؛ فلابد وأن يكون الترتيب والنظم في كل ذلك - الآيات والسور- إنما هو بتوقيف من الله تعالى.

وفي ظني: أنّ القرآن على هذه الصورة الحالية، بترتيبه ونظمه إنما هو بتوقيف من الله تعالى، إذ لو لم يكن الترتيب موقوفًا من الله، خلافًا لمن قال بأنه نُظم على هذا الترتيب في أيام عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَا صح أن يُتَحدى به مرة بسورة، ومرة بعشر، ومرة بالقرآن كله. إذ لو كان هذا الترتيب من البشر لَمَا وُجد هذا التناسق وذاك الترتيب المتقن العجيب. لهذا كان للترتيب حكمة ينبغي على الراسخين في العلم بيانها وكشفها؛ امتثالًا لقوله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}[2].

ثانيًا: دوران سور القرآن حول المقصود الأعظم.

السورة هي طائفة من جمل القرآن لها بداية ونهاية. والناظر إلى إحدى سور القرآن يجد أنها وإن تعددت آياتها، وتنوعت من حيث أماكن نزولها بين مكي ومدني، فإن ثمة رابطًا يربط السورة من مطلعها إلى منتهاها، فالقارئ للسورة يستشعر وكأنها تعالج قضية واحدة، غير أنها مشتملة على عدة جمل بعضها متعلق ببعض، ولا مفر للمتأمل من أن يرد الكلام إلى بدايته، وآخره إلى أوله، وعندها يستطيع القارئ أن يفهم مراد الشارع من

(١) سورة الطور، الآيتان، (٣٣،٣٤).

(٢) سورة النساء، الآية، (٨٢).

كلامه، أما إذا فرق نظره فإنه لن يتوصل إلى مراد الشارع الحكيم من كلامه.

هذا الترابط العجيب لأجزاء السورة القرآنية يستوي فيه ما نزل من سور القرآن مفرقًا، وما نزل جملة واحدة. فالقارئ لا يستطيع أن يُفّرق بين سورة نزلت منجمة، كسورة البقرة، وبين سورة نزلت جملة واحدة، كسورة الأنعام، من حيث الترابط الداخلي والانسجام التام بين أجزاء إحدى السورتين، فهناك وحدة موضوعية لكل سورة من سور القرآن، وإلا فلو كان القرآن مختلط الموضوعات بلا رابطة لما كان لإلحاق آية مكية بسورة مدنية معنى يذكر، ولكان الأولى أن تُوضع الآيات حيث نزلت، في أية سورة متوافقة معها في الزمان والمكان.

ورشيد رضا يرى أن الذي يربط بين أجزاء السورة القرآنية من بدايتها إلى منتهاها هو دورانها حول المقصود الأعظم للقرآن، وهذا المقصود يتمثل في تقرير أربعة أصول - حسب وجهة نظره- هي: الْإِلَهِيَّات وَالنُّبُوَّات وَالْبَعْث وَالْجَزَاء[1].

فالسورة القرآنية عنده تسير في اتجاه كي تُبيّن هذه المقاصد الأربعة، وتُبرهن على صدقها وصحتها، ولذلك فهو عندما يربط بين أجزاء السورة يجعل اجتماع هذه المقاصد أمرًا ضروريًا داخل السورة نفسها، ثم ينطلق منه لبيان وجه المناسبات بين أجزائها.

يقول رشيد رضا في وجوه المناسبات بين السور في تقرير الأصول الأربعة: "هَذَا مَا أَرَاهُ مِنْ وُجُوهِ التَّنَاسُبِ فِي الْكُلِّيَّاتِ بَيْنَ هَذِهِ السُّورَةِ الَّتِي

(١) انظر: رشيد رضا، المنار،٧/ ٢٤١، ١٢/ ٣.

شَرَعْتُ فِي تَفْسِيرِهَا، وَبَيْنَ مَا قَبْلَهَا مُبَاشَرَةً، وَمَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا مُطْلَقًا"[1].

ثالثًا: الطريقة المعهودة للقرآن في عرض القضايا.

الأساس الثالث الذي اعتمد عليه رشيد رضا في بيان المناسبات بين الآيات والسور، هي تلك الطريقة التي يعتمد عليها القرآن في عرض قضاياه وموضوعاته، والتي يُسميها: بـ "أسلوب القرآن" وطريقته: أَن الله يَمْزِجُ فُنُونَ الْكَلَامِ، وَيُنَظِّمُ مَقَاصِدَ الْهِدَايَةِ وَالْإِرْشَادِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا، وَتَبَايُنِ مَوْضُوعَاتِهَا، مَزْجًا مُتَلَائِمًا، وَنَظْمًا مُتَنَاسِبًا مُتَنَاسِقًا، مُوَافِقًا لِلذَّوْقِ السَّلِيمِ، مُطَابِقًا لِنُكَتِ الْبَلَاغَةِ..."[2].

مما سبق يتضح لنا أن رشيد رضا لم يكن ليعتني بذكر المناسبات في القرآن لمجرد شغفه بهذا العلم، وإنما لكونه علمًا مهمًا يُضِيف وجهًا جديدًا إلى أوجه إعجاز القرآن، كما أنه يقي من مزالق التعسف والتكلف.

(١) انظر: رشيد رضا، المنار، ٢٤١/٧.

(٢) انظر: نفس المرجع، ٢٩٨/٩.

المبحث الثاني

التعريف بعلم المناسبات

المطلب الأول

تعريف المناسبة لغة واصطلاحًا.

- **لغة**: من (نسب): النون والسين والباء كلمةٌ واحدة قياسُها اتِّصال شيءٍ بشيء. منه النّسَب، سمِّي لاتِّصاله وللاتِّصالِ به. تقول: نَسَبْتُ أَنْسُبُ. وهو نَسِيبُ فلانٍ. ومنه النَّسيبُ في الشِّعر إلى المرأة، كأَنَّه ذِكْرٌ يتَّصِل بها؛ ولا يكون إلَّا في النِّساءِ. والنّسيبُ: الطريق المستقيم، لاتِّصال بعضه ببعض[(١)]. والنَّسَبُ مُحَرَّكَةً: واحد الأَنساب. النِسْبَة بالكسْرِ والضَّمِّ والنَّسَبُ: القَرَابَةُ. والنُّسْبَة بالضَّمّ: الاسْمُ والجمع نُسَبٌ[(٢)]، والنَّسِيبُ: المنَاسِبُ والجَمْعُ نُسَباءُ وأَنْسِبَاءُ. رجلٌ نَسِيبٌ: أَي ذُو الحَسَبِ والنَّسَب[(٣)]. ويُقَالُ: فُلانٌ نَسِيبِي وهُمْ أَنْسبائي، وتقول: ليس بينهما

(١) انظر: أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا أبو الحسين(ت ٣٩٥ هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، باب(نسب)، جـ٥، ص٤٢٣، ٤٢٤.

(٢) انظر: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (ت ٣٧٩ هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، باب(نسب)، جـ٥، ص ٩٠.

(٣) انظر: علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي أبو الحسن(ت٣٩٨هـ)، المعروف بابن سيدة، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، باب(نسب)، جـ١، ص ٣٣١.

مُناسَبة أَي مُشاكَلةٌ[1].

والملاحظ من التعريف اللغوي للمناسبة، أنّه يرجع في الأصل إلى أربعة معانٍ، هي: الاتصال، الارتباط، القرابة، المماثلة.

- **اصطلاحًا**: يقول البقاعي في تعريف علم مناسبات القرآن، هو: "علم تُعْرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه من الحال"[2].

ويمكن تعريف علم المناسبات بأنّه: علم يُعْرَف به بيان وجه الارتباط والاتصال بين جملتين في آية واحدة، أو بين آية وآية في آيات متعددة، أو بين سورة وسورة مجاورة، أو بين سور القرآن بعضها في إثر بعض. وعليه،

(١) انظر: إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، باب(نسب)، جـ٢، ص ٦٣، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، ١٩٩٥م، باب(نسب)، جـ١، ص ٧٥٥.

(٢) إبراهيم بن عمر البقاعي، برهان الدين أبو الحسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، جـ١، ص٦. والبقاعي، هو الحافظ برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، بن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي، برهان الدين أبو الحسن، العلامة المحدث الحافظ.(٨٠٩ / ٨٨٥ هـ ـ ١٤٠٦ / ١٤٨٠م) أخذ القراءات عن ابن الجزري وغيره، والحديث عن الحافظ ابن حجر، والفقه عن التقي بن قاضي شهبة. ولازم القاياتي، والونائي، وسائر الأشياخ. وله تصانيف كثيرة حسنة منها كتاب (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) و(النكت على شرح ألفية العراقي). انظر: جلال الدين السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت، ص٢٤، الزركلي، الأعلام، ٥٦/١.

فإنّ علم المناسبات يتناول كل أحوال البيان التركيبية والترتيبية، كما أنّه يُحاول الكشف عن سر تكرار القصص القرآني، فكل قصة تم إعادتها فهو لمعنى جديد، لا يوجد في عناصر القصة السابقة أو اللاحقة لها، ومعنى ذلك أنّه ليس هناك تكرار في القرآن الكريم.

ومن هنا يتبدى لنا مدى التوافق بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لعلم المناسبات؛ حيث إن كليهما يعني: أن بين كل آية وآية رباط من نوع ما، غير أن ذلك لا يعني أن تكون الآيتان المتجاورتان أو الآيات المتجاورة متشابهة كل التشابه، بل قد تكون علاقة الرباط بينهما هي علاقة تكامل، بمعنى أنّ الآية الثانية مكملة للأولى، أو قد تكون العلاقة بينهما علاقة توضيح وبيان، وغير ذلك من العلاقات الأخرى.

والمقرر في ذلك أنّ هناك صلًة ما بين الآيتين، أو بين الآية والآيات التي تسبقها، أو تلحقها، أو بين الآية وبين أجزاء السورة كلها، أو بين الآية وجملة القرآن الكريم كله. وغاية ما في الأمر أنه سواء توصل العلماء إلى العلم بهذه المناسبات، أم لم يتوصلوا، فالمناسبة موجودة، لكنها قد تظهر، وقد تخفى، وفي هذا مجال لتسابق الفهوم والعقول لإثبات إعجاز القرآن الكريم.

المطلب الثاني

فوائد المناسبات وموقف العلماء منها.

أولا: فوائد معرفة المناسبات في القرآن.

إذا كان لمعرفة أسباب نزول الآيات أثر في فهم معناها على الوجه الصحيح؛ فإن معرفة مناسبات الآيات لبعضها لا تقل أهمية عن معرفة أسباب نزولها، إذ إنها مما يعين على فهم الأسرار المكنونة في الآية، وحسن تأويلها، ودقة فهمها.

وإذا عُلم أن القرآن يبث معانيه من خلال مقاصده العامة، وإذا كانت هذه الأغراض موزعة على كافة الآيات والسور، فلو جُمع كل نوع من هذه الأغراض على حدة، لأصبح القرآن أشبه بكتاب في القانون، يُرجع إليه متى احتجنا إلى مراجعة مَسْأَلَةٍ مِنْ مسائله. فنَظْمه على هذا الوجه فيه مِنَ الْمُنَاسَبَةِ مَا يُدْهَشُ له أَصْحَابُ العقول، بِحُسْنِ ترتيبه وَتَنَاسُقِ معانيه.

يقول رشيد رضا:" وَأَمَّا أُسْلُوبُ الْقُرْآنِ فَالْكَلَامُ فِيهِ هُوَ الْبَحْرُ الْخِضَمُّ،.. فَإِنَّهُ أَظْهَرَ وُجُوه الْإِعْجَازِ اللَّفْظِيَّةِ، وَذَلِكَ أَنْ يَمْزِجَ فُنُونَ الْكَلَامِ. وَيُنَظِّمَ مَقَاصِدَ الْهِدَايَةِ وَالْإِرْشَادِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا، وَتَبَايُنِ مَوْضُوعَاتِهَا، مَزْجًا مُتَلَائِمًا، وَنَظْمًا مُتَنَاسِبًا مُتَنَاسِقًا...مَعَ مُنْتَهَى الْإِحْكَامِ وَالْمُنَاسَبَةِ"[1].

ثانيًا: موقف العلماء من علم المناسبة.

- **المؤيدون لعلم المناسبات.**

يُعّد علم المناسبات عند مؤيديه أحد أوجه إعجاز القرآن الكريم، كما

(١) رشيد رضا، المنار، ٢٩٨/٩.

يُعّد أبو بكر النيسابوري أول من سبق إلى الدعوة لهذا العلم، حيث كان يقول إذا قُرئت عليه الآية: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه.. وما الحكمة في جعل هذه السورة ملاصقة للأخرى. وكان يُلقي باللائمة على علماء بغداد؛ لإهمالهم علم المناسبات(١). هذا ولم تكن دعوة الإمام لهذا العلم إلا مجرد محاولات اجتهادية له في بعض مجالس العلم.

كما كانت هناك محاولات للإمام ابن العربي للكتابة في هذا العلم، غير أنه توقف. يقول أبو بكر بن العربي:" ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عَزَّوَجَلَّ لنا فيه، فلما لم نجد له حَمّلة، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه"(٢).

وكان ممن اهتم بهذا العلم الإمام فخر الدين الرازي، الذي أظهر في تفسيره" مفاتيح الغيب" عناية واضحة بالمناسبات القرآنية، والذي قال عنه في تفسيره:" أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"(٣).

---

(١) انظر: محمد بن عبد الله الزركشي بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م، جـ١، ص ٥٣.

(٢) الزركشي، البرهان، ١/ ٣٦، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، جـ ٢، ص ٣٤٩.

(٣) محمد بن عمر التميمي الرازي، فخر الدين، الشافعي، مفاتيح الغيب، دار الكتب =

يقول د. وجيه محمود: " وإنه ليمكننا القول، بأن الرازي يُعد أول من أولى المناسبات القرآنية هذه العناية الواضحة، ويُعد تفسيره أول كتاب يُعنى بذكر المناسبات بمعناها الاصطلاحي، فما ذكره الزركشي والسيوطي عن أبى بكر النيسابوري وابن العربي من عنايتهما بالمناسبات لا يشي بأسبقيتهما في التصنيف في هذا العلم"[(١)].

هذا، ويُعد تفسير الإمام البقاعي من أنفس التفاسير التي خُصصت لدراسة علم المناسبات في القرآن، ويتجلى ذلك في قوله:" وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها.."[(٢)]. وكذلك كتاب الإمام السيوطي: تناسق الدرر في تناسب السور[(٣)].

- **المعارضون لعلم المناسبات.**

وكان ممن عارض هذا العلم من العلماء بدعوى أنّه تكلف الإمام العز بن عبد السلام، كما وصفه الإمام محمد بن علي الشوكاني بأنه وقوع في المحظور.

=

العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، جـ١٠، ص ١١٣، الزركشي، البرهان، ١/ ٣٦، السيوطي، الإتقان،٢/ ٣٤٩.

(١) د. وجيه محمود أحمد، المناسبات القرآنية في تفسير الفخر الرازي، دار المعرفة، ٢٠١٠م، ص٢٩.

(٢) البقاعي، نظم الدرر، ١/ ١٥، ١٦.

(٣) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

يقول العز بن عبد السلام: " المناسبة علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد، مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة، لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر. قال: ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه، إلا برباط ركيك يُصان عنه حسن الحديث، فضلا عن أحسنه.. "(١).

ويقول الشوكاني: " اعلم أن كثيرًا من المفسرين جاءوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه، في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية.. "(٢).

واضح أنّ الإمام العز بن عبد السلام لا يعارض وجود المناسبة والترابط بين الكلام، إذا كان الكلام في أمر متحد، أما إذا كان الكلام غير متحد الموضوع فهو يراه أمرًا متكلفًا. معللًا ذلك بأن الرباط بينهما سيكون ركيكًا. أما الإمام الشوكاني فهو يرفض ذلك العلم تمامًا، حيث يصفه بأنه تكلف، ولا توجد فائدة متحققة من دراسته، وأنه قول على الله بمحض الرأي المنهي عنه.

---

(١) عز الدين عبد العزيز ابن عبد السلام (ت٦٦٠هـ)، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، المطبعة العامرة، الأستانة، ط١، ١٣١٣هـ، ص ٢٢١، الزركشي، البرهان، ٣٧/١.

(٢) محمد بن علي الشوكاني(ت١٢٥٠هـ) فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت، جـ١، ص ٧٢.

وقد تابعهما في هذا الرأي (من المُحْدَثِين) الدكتور: صبحي الصالح، حيث يقول: - " فإن وقع - أي التناسب - في أمور متحدة، مرتبطة أوائلها بآخرها، فهذا تناسب معقول مقبول، وإن وقع على أسباب مختلفة، وأمور متنافرة، فما هذا من التناسب في شيء"[1].

- مناقشة آراء الرافضين لعلم المناسبات.

يمكن مناقشة رأي المعارضين أو المانعين لهذا العلم من عدة وجوه، هي:

الأول: كيف يمكن القول بأنّ علم المناسبة علم سائغ، إذا كان الكلام في أمر متحد، يرتبط أوله بآخره، وبأنه غير سائغ، إذا وقع على أسباب مختلفة، والرباط بينهما ضرب من ضروب التكلف ؟. كيف، ومن البدهي أن يرتبط الكلام المتحد ببعضه؛ لوجود المناسبة بين أجزائه، أما إذا وقع على أسباب مختلفة. فالقرآن ذاته يدعونا إلى التدبر والتأمل، قال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}[2]. ومعلوم أن التدبر والتفكر لا يكون في الأمر القريب الواضح، وإنما هو إعمال العقل بعمق وفكر في الأمر البعيد المنال، ويدل علي ذلك قوله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[3].

(١) صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٧، ص ١٥٢.

(٢) سورة ص، الآية، (٢٩).

(٣) سورة محمد، الآية، (٢٤).

الثاني: إذا ذُكر في تفسير الآية قولان. كيف يمكن لنا ترجيح قول على آخر إذا تساوى الاثنان في القوة، أوليس من البدهي أن يُبحث عن أيّهما أليق بارتباط أجزاء الآية، أو الآيات، بما يسبقها أو يلحقها، لترجيح ما هو مناسب للسياق ونظم الكلام. فإذا كان ذلك كذلك؛ فإن لمعرفة المناسبة بين الآيات فائدة، وأي فائدة، إذ إنها تساعد في بيان المراد من الآية على الوجه الصحيح.

الثالث: الرأي المنهي عنه في تفسير القرآن، وما يتعلق به من أحكام، هو الرأي الناشئ عن الهوى، وهو الذي لا يلتزم فيه صاحبه بضوابط التفسير وقواعده الصحيحة. فهذا هو التفسير المذموم المنهي عنه، أما التفسير الممدوح المقبول، فهو التفسير الذي يعتمد على المعرفة الكافية بالعلوم العربية، والشرعية، والأصولية، والفقهية والعلم بالسنن والأحاديث، مما لا يعارض النقل الصحيح، أو العقل السليم، ولا يعارض العلم اليقيني الثابت المستقر، وعلى المفسر بعد كل هذا أن يبذل غاية ما في وسعه في البحث والاجتهاد، وكذا المبالغة في تحري الحق والصواب، وأن يجرد نفسه من الهوى، أو الاستحسان أو الانتصار لرأيه بغير دليل، ويجب عليه أن يراقب الله تعالى غاية المراقبة في كل ما يصل إليه.

الرابع: إذا كان ذكر المناسبة بين الآيات والسور يعمل على:

- إبراز الوحدة الموضوعية والمعنوية بين الآيات والسور، بل والقرآن كله.
- ترسيخ الاعتقاد في إعجاز القرآن الكريم، لِمَا يُظْهره هذا العلم من

لطائف وأسرار.

- تعزيز رأي العلماء الذين يرون أن ترتيب السور توقيفي، وليس اجتهادي.

وعليه، فإنه إذا كان الكلام في المناسبة مبني على الدليل العلمي الصحيح الذي لا يخالف مقاصد الدين والقرآن، فهو صحيح لا يُمكن رده، أما إذا خالف شيئًا من ذلك فهو المنهي عنه.

ولعل ما يؤكد أهمية هذا العلم: "أننا وجدنا الإمام الطبري شيخ المفسرين النقليين والعقليين يعنى بالمناسبة في تفسيره، إلا أنه لم يصرح بها أو يُفرد لها حديثًا، وإنما جاءت في تفسيره تلميحًا، حيث يُفسر الآيات تفسيرًا يربط بينها ربطًا محكمًا تستشف منه حرصه على المناسبات بين الآيات[1].

يقول الطبري:" القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}[2]. يعني جل ثناؤه بقوله: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ} أفلا يتدبر المبَيتُونَ غير الذي تقول لهم يا محمد كتاب الله، فيعلموا حجة الله عليهم في طاعتك وإتباع أمرك، وأن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم، لاتساق معانيه وائتلاف أحكامه وتأييد بعضه بعضًا بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق، فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض"[3].

---

(١) د. وجيه محمود أحمد، المناسبات القرآنية في تفسير الفخر الرازي، ص٢٥.

(٢) سورة النساء، الآية، (٨٢).

(٣) محمد بن جرير الطبري، أبو جعفر (ت٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار =

وهنا يربط الطبري بين قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا}[1]. والآية التي تسبقها، حيث يذكر ألفاظ الآية السابقة بعينها دون معناها، في قوله: {وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ}. وهذا مما يقبله العقل والمنطق السليم.

فما أكثر المناسبات التي يمكن للعقل السليم أن يقبلها، وتطرب لها أذن السامع. وعليه، فإذا قامت الأمة برفض أي علم لبعض الأخطاء التي وقعت من بعض من كَتَبَت فيه؛ لَمَا بقّي لنا علم، حتى أن تفسير الشوكاني نفسه سنقوم برفضه لما فيه من الروايات الضعيفة، والموضوعة، التي يُوردها دون أن ينبه عليها.

مما سبق يمكن القول بأن:

- موقف الإمام الشوكاني فيه مبالغة قد تبعد عن الصواب. ويُؤيد ذلك عناية جل المفسرين بذكر المناسبات في تفاسيرهم، وإن لم يذكروا

=

الفكر للطباعة، جـ٢٩، ص٣٠٧. والطبري، هو: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، (٢٢٤/٣١٠هـ - ٨٣٩ / ٩٢٣م). واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. له (أخبار الرسل والملوك) و(جامع البيان في تفسير القرآن) يعرف بتفسير الطبري انظر: شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان أبو العباس، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، جـ٤، ص١٩١،١٩٢، الزركلي، الأعلام، ٦٩/٦.

(١) سورة النساء، الآية،٨١.

لفظة مناسبة بعينها.

- إذا كان القرآن الكريم قد جاء ترتيبه توقيفيًا من عند الله تعالى، وهو بذلك على غير ترتيب النزول، فإنه ولا بد أن يكون لهذا الترتيب التوقيفي إعجازٌ كبيرٌ، وحكمٌ بالغةٌ، وإلا سيكون ذلك الترتيب ضربًا من العبث.
- ينبغي للباحثين في علم مناسبات الآيات القرآنية، أن يكون بحثهم في إطار السياق العام للآيات؛ حتى يخلو من التعسف والتكلف في تأويلها، وإلا كان ذلك تكلفًا، وقولًا على الله بغير علم.

المبحث الثالث

أنواع المناسبات في تفسير المنار

مر بنا الحديث في المقدمة أنّ رشيد رضا يُعنى في تفسيره بإيجاد المناسبات عناية بالغة حتى ليمكننا استخلاص كتاب في مناسبات القرآن من هذا التفسير، وحيث إن تفسير المنار يزخر بجميع أنواع المناسبات القرآنية، فقد وجدناه يُعنى بما يلي:

- أولًا: المناسبة بين أجزاء الآية.

قد تأتي الآية فتأمر بفعل شيء ما، أو تنهى عنه، فتحتاج إلى إضافات لبيان هذا الأمر، وقد تجتمع في الآية الواحدة عدة مضامين؛ فتحتاج إلى بيان الحكمة من اجتماعها في الآية.

مثال١. قوله تعالى: {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا، قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[1].

ووجه مناسبة أجزاء الآية السابقة لبعضها، هو أن اليهود والنصارى قالوا للرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وأصحابه. كونوا يهودًا تهتدوا، وقالت النصارى بل كونوا نصارى تهتدوا. فجاء الجزء الثاني من الآية في صورة رد على الدعوة المقدمة من الفريقين؛ لمناسبة الدعوة والرد عليها، بقوله: {قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}. فجاءت (بل) لتعمل على إضراب وإبطال ما سبق من دعوة الفريقين.

---

(١) سورة البقرة، الآية، (١٣٥).

يعني: بل لا نتبع، ولا نكون على ملتهم؛ بل على ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، الذي لم يك من المشركين؛ وملة إبراهيم هي التوحيد؛ وكأن الله تعالى يريد أن يقول لهم، هَذِهِ هِيَ مِلَّة أَبِيكم إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الَّذِي تَنْتَسِبُونَ إِلَيْهِ، فكيف ترغبون عن ملته. وفي ذلك بيان لاتفاق الشرائع السماوية في أصل واحد، وهو توحيد الله وإفراده بالعبادة؛ لأنه دين واحد، لا أديان متفرقة، ألم يقل الله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ..}[1].

فالدعوة إلى الحنفية السمحة، جاءت على لسان أول نبي من أنبياء الله تعالى، وهو نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقد دعا قومه إليها، بقوله: {فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}[2]، وهي أيضًا ملة نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال تعالى: {..مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ..}[3]. وهي الدعوة نفسها التي استنصر بها نبي الله عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قومه، حينما أحس منهم الكفر، فقال لهم: {..مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}[4].

وفي ذلك إشعار للأمة الإسلامية بهذه الوحدة، ودعوة لأبنائها بألا يقصروا نظرهم على ما يمتاز به كل فريق أو حزب على غيره في الفروع والجزيئات الَّتِي أضافوها من واقع فهمهم لأجزاء الشريعة، فلو فعلوا ذلك لبعد كل فريق عن أخيه أشد البعد، ولأصبح الدين الواحد كفرًا وإيمانًا. كُل

(١) سورة آل عمران، الآية، (١٩).

(٢) سورة يونس، الآية، (٧٢).

(٣) سورة الحج، جزء من الآية، (٧٨).

(٤) سورة آل عمران، جزء من الآية، (٥٢).

فريق فرح بما عنده، ناسبًا الإيمان لنفسه، قاذفًا غيره بالكفر والفسوق، رُغم أن نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحد، ودينهم واحد، وكتابهم واحد.

وكأن الآية الكريمة تُصور لنا حال الأمة الإسلامية، في تشتتها وتشرذمها، وقد ظهرت على الساحة فرق وجماعات، فرقوا دينهم شيعًا، فجعلوا الناس أصنافًا شتى، الملتزم، وغير الملتزم، الفاسق، وغير الفاسق. فجعلوا بذلك الدين الواحد كفرًا وإيمانًا، وفسوقًا، محتكرين بذلك فهم الدين، فرحين بهذا العمل، كيف ذلك! والدين واحد والكتاب واحد، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحد، فمن أين جاؤا بهذا الدين الجديد؟.

يقول رشيد رضا:" وَانْتَقَلَ الْكَلَامُ بِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ إِلَى بَيَانِ وَحْدَةِ الدِّينِ الْإِلَهِيِّ وَاتِّفَاقِ النَّبِيِّينَ فِي جَوْهَرِهِ، وَبَيَانِ جَهْلِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِهَذِهِ الْوَحْدَةِ، وَقِصَرِ نَظَرِهِمْ عَلَى مَا يَمْتَازُ بِهِ كُلُّ دِينٍ مِنَ الْفُرُوعِ وَالْجُزْئِيَّاتِ.."[1].

مثال:٢. قوله تعالى: {وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ، إِنَّ

(١) رشيد رضا، المنار، ١/ ٣٩٥. ووجه مناسبة أجزاء الآية لبعضها عند الإمام البقاعي، جاء من خلال ذكره لقول الإمام الحرالي، الذي يقول فيه: " ففيه كمال تسنن محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ملته بملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي هو الأول لمناسبة ما بين الأول والآخر". انظر: البقاعي، نظم الدرر، ١/ ٢٥٣. ومناسبة ما بين الأول والآخر هنا، هي الاتفاق في دعوة كليهما إلى التوحيد. وعليه، فقد جاءت ألفاظ رشيد رضا أكمل في التعبير عن المناسبة في الآية. حيث فصل فيها بذكر وجه الاتفاق بين النبيين، مبينًا سبب دعوة أهل الكتاب للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ملتهم، بأنه الجهل بِهَذِهِ الْوَحْدَة، وقصر فهمها على مَا يَمْتَازُ بِهِ كُلُّ دِينٍ مِنَ الْفُرُوعِ وَالْجُزْئِيَّاتِ.

الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}[1].

لا يخفى ما في الآيات الثلاث السابقة من تناسب؛ فقد ناسب ذكر العذاب العظيم على أولئك الذين يسارعون في الكفر؛ فمن شأن عظائم الأمور المسارعة إليها، كما ناسب ذكر أليم، كل من يشتري الكفر؛ لأن المشتري الذي قد غُبن في شرائه، يحصل له الكثير من الألم، أما لفظ المهين فهو ينطبق على كل من تمادى في الإثم، فحاله في ذلك الشعور بالذل والمهانة، الأمر الذي يحمله على طلب العز والكرامة.

يقول رشيد رضا: "وَفِي الْآيَاتِ الثَّلَاثِ التَّفَنُّنُ فِي وَصْفِ الْعَذَابِ بَيْنَ عَظِيمٍ، وَأَلِيمٍ، وَمُهِينٍ، وَالْأَلِيمُ: ذُو الْأَلَمِ، وَالْمُهِينُ: ذُو الْإِهَانَةِ، وَهَذِهِ الْأَوْصَافُ يَتَوَارَدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ كَمَا لَا يَخْفَى، وَهَذَا لَا يَمْنَعُ مُنَاسَبَةَ كُلِّ وَصْفٍ لِآيَتِهِ"[2].

- ثانيًا. المناسبة بين الآية والآية.

قد تأتي المناسبة بين الآية والآية واضحة يُدركها كل من يقرأها، وقد تكون خفية لا يدركها إلا من كان له بصيرة في أسرار عظمة الترتيب والنظم القرآني.

---

(١) سورة آل عمران، الآيات، (١٧٦- ١٧٨).

(٢) رشيد رضا، المنار، ٤/ ٢٠٧. وبنفس هذه المعاني يذكر الإمام البقاعي وجه المناسبة بين أجزاء الآية. انظر: البقاعي، نظم الدرر، ٢/ ١٨٦.

مثال١. قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[١].

ولعل وجه التناسب بين هذه الآية والتي قبلها[٢]. هو من أعظم وجوه التناسب في القرآن الكريم، حيث إن فِيهَا إِبْطَالًا وإقرارًا، إبطال لاعتقاد مَا كَانَت عليه الأديان السابقة من أن العبادة لا تصح إلا في أماكن مخصوصة، وإقرار لقيمة العبادة الاجتماعية التي يجتمع فيها الناس في مكان مخصوص وهو المسجد، حيث تكون هذه العبادة مدعاة لأن يرى الناس بعضهم بعضًا، فتتآلف القلوب وتتقارب، فإذا حدثت تلك الألفة، تحابوا، وتعاطفوا، وتراحموا، وتكافلوا، وتعاونوا، فيما بينهم على البر والتقوى، فإنهم إن اجتمعوا على عبادة إله واحد؛ فلن يجتمعوا إلا على خير يرضاه ذلك الإله الواحد.

ولعل ما يُحدثه الاجتماع على الطاعة من الألفة والمحبة بين الناس، يكون سببًا في الحفاظ على حقوقهم وأعراضهم ودمائهم، فهو بذلك أحد الأسرار التي من أجلها فرضت الصلاة، بل والعبادة كلها، قال تعالى: {.. إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ..}[٣].

يقول رشيد رضا، في كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها، وجوه: "وَوَجْهُ

(١) سورة البقرة، الآية، (١١٥).

(٢) هي قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }. سورة البقرة، الآية، (١١٤).

(٣) سورة العنكبوت، جزء من الآية، (٤٥).

الْمُنَاسَبَةِ وَالِاتِّصَالِ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ وَمَا قَبْلَهَا ظَاهِرٌ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ:

أ. فإن فِيهَا إِبْطَالَ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمِلَلِ السَّابِقَةِ مِن اعْتِقَادِ أَنَّ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ- تَعَالَى- لَا يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ إِلَّا فِي الْهَيْكَلِ وَالْمَعْبَدِ الْمَخْصُوصِ.

ب. تُثْبِتُ لَنَا قَاعِدَةً مِنْ أَهَمِّ قَوَاعِدِ الِاعْتِقَادِ، وَهِيَ أَنَّ الله - تَعَالَى- لَا تُحَدِّدُهُ الْجِهَاتُ، وَلَا تَحْصُرُهُ الْأَمْكِنَةُ، وَلَا يُتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِالْبِقَاعِ وَالْمَعَاهِدِ، وَلَا تَنْحَصِرُ عِبَادَتُهُ فِي الْهَيَاكِلِ وَالْمَسَاجِد.."[1].

مثال٢. قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[2].

ووجه مناسبة قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا..} لما قبلها، وهو قوله: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ..}[3]. هو أن الآية الأولى تُخاطب من بين مخاطباتها الفئة القائمة على دينها من أهل الكتاب، بأن جزاءهم انعدام الخوف في الدنيا ولا هم يحزنون في الآخرة؛ لأنهم أقاموا دينهم على الوجه المطلوب منهم، في حين أن الآية التي قبلها تخاطب عامة أهل الكتاب الذين فرطوا في دينهم فلا هم أقاموه على الوجه الذي كان عليه سلفهم، ولا هم تركوه كما هو، بل حرفوه وزادوا عليه بما لم يكن فيه، فالخوف مكتوب عليهم في الدنيا؛ لعدم

(١) رشيد رضا، المنار، ١/ ٣٥٧، ٣٥٨.

(٢) سورة المائدة، الآية، (٦٩).

(٣) سورة المائدة، جزء من الآية، (٦٨).

تمسكهم بدينهم، والحزن من أوصافهم في الآخرة، لقلة عملهم الصالح في الدنيا.

يقول رشيد رضا: " مُنَاسَبَةُ وَضْعِ هَذِهِ الْآيَةِ هُنَا لِمَا قَبْلَهَا. وَمَا بَعْدَهَا بَيَانُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ يُقِيمُوا دِينَ اللهِ، وَمَا كَلَّفَهُمُ اللهُ إِيَّاهُ، لَا وَسَائِلَهُ وَلَا مَقَاصِدَهُ، فَلَا هُمْ حَفِظُوا نُصُوصَ الْكُتُبِ كُلَّهَا، وَلَا هُمْ تَرَكُوا مَا عِنْدَهُمْ مِنْهَا عَلَى ظَوَاهِرِهَا.."[(١)].

- ثالثًا: المناسبة بين الآية والآيات التي تسبقها أو تلحقها.

فقد تكون المناسبة واضحة يُدركها جميع القراء، وقد تكون خفية لا يدركها إلا من نَوّر الله بصيرته. فتأتي الآية كي تربط بين السياقات وبعضها.

مثال ١. قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}[(٢)].

وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها من الآيات، هو أن الله تعالى لما أخذ مِيثَاقَ أهل الكتاب فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ، واشتروا الضلالة بالهدى، وحرفوا الكلم عن مواضعه، فلم يؤمنوا، وآمنوا بالطاغوت من دون الله، مع علمهم بعقاب الله تعالى، ومغفرته لمن رجع وأناب، أراد سبحانه للأمة المحمدية ألَّا تسلك مسلك أهل الكتاب، فأمرها أن تُؤدي الأمانات إلى أهلها، سواء أكانت هذه الأمانة مادية أو معنوية، ولعل أولى الأمانات

(١) رشيد رضا، المنار، ٦/ ٣٩٤،٣٩٥.

(٢) سورة النساء، الآية، (٥٨).

بالمعاهدة الأمانة العليا، وهي الإيمان بالله، ثم الأمانة التي تتعلق ببني الإنسان، ثم الأمانة التي ترتبط بالنفس.

يقول الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ:" بَعْدَ مَا بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى لَنَا مِنْ شَأْنِ أَهْلِ الْكِتَابِ مَا بَيَّنَهُ ـ حَتَّى تَفْضِيلَهُمُ الْمُشْرِكِينَ فِي الْهِدَايَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَحْدَهُ، وَبِجَمِيعِ كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ـ أَدَّبَنَا بِهَذَا الْأَدَبِ الْعَالِي، وَأَمَرَنَا بِالْأَمَانَةِ الْعَامَّةِ، وَهِيَ الِاعْتِرَافُ بِالْحَقِّ سَوَاءٌ كَانَ الْحَقُّ حِسِّيًّا أَوْ مَعْنَوِيًّا.."[1].

مثال٢. قوله تعالى: {رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ، رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ}[2].

والوجه في مناسبة قوله تعالى:{رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}. لقوله: {..وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا..}[3]. في حالة الفصل، وهو عدم عطف الراسخين في العلم على لفظ الجلالة، هو أن الراسخين في العلم لما أقروا بأن المحكم والمتشابه، كل من عند الله تعالى، مع عدم علمهم بمراد الله تعالى منه، فالمحكم يعملون به، والمتشابه يؤمنوا به. فقول الراسخين في العلم: {كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا}، هو الهداية التي طلبوها في قوله: {..لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا..}. ثم يجيء الدعاء بعد ذلك، بطلب الثبات

(١) رشيد رضا، المنار، ٥/ ١٣٨.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان، (٨،٩).

(٣) سورة آل عمران، جزء من الآية، (٧).

من الله على هذه الهداية حتى الممات، والمعنى: يا رب ثبتنا على عبادتك والإيمان بما أنزلت على الوجه الذي أردت، ولا تجعل قلوبنا تميل أو تزيغ.

أما وجه مناسبة قوله تعالى: {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ}. لقوله تعالى: {..وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ..}. في حالة الوصل، وهو عطف الراسخين في العلم على لفظ الجلالة، هو أن الراسخين في العلم لما كانوا عالمين بتأويل المتشابه، وكانوا لا يأْمَنُون على أنفسهم الفتنة، مع خوفهم، فأخذوا يُذَكِّرون أنفسهم بيوم الجمع، كي يكون ذلك سببًا في زيادة خوفهم ورهبتهم من الله، فيحملهم ذلك على الثبات وعدم الزيغ، أو الميل، تبعًا للأهواء.

ويمكن إيجاز مناسبة الآيتين للآية التي قبلها، هُو أن: الدعاء مَبْعَثُ الثبات على الإيمان وعدم الزيغ، والْخَوْفُ منَ اللهِ مَبْعَثُ أخْذِ الْحَذَرِ وَالبُعْدِ عن الزَّيْغِ.

قَالَ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ:" إِنَّ مُنَاسَبَةَ هَذَا الدُّعَاءِ لِلْإِيمَانِ بِالْمُتَشَابِهِ ظَاهِرَةٌ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْمُتَشَابِهَ هُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ الْآخِرَةِ، أَيْ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِمَضْمُونِهِ وَالْمُرَادِ مِنْهُ وَمَا يَئُولُ إِلَيْهِ، وَأَمَّا عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ فَوَجْهُهُ أَنَّهُمْ يَذْكُرُونَ يَوْمَ الْجَمْعِ؛ لِيَسْتَشْعِرُوا أَنْفُسَهُمُ الْخَوْفَ مِنْ تَسَرُّبِ الزَّيْغِ..."[1].

- رابعًا: المناسبة بين الآية والقصة.

إذا كان رشيد رضا يربط بين الآية والآية، فإنّه أيضًا يربط بين الآية

(١) رشيد رضا، المنار، ٣/ ١٩٠.

والقصة، كربطه بين قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ - في محاجته مع النمرود- وبين ما قبلها من الآيات.

مثال ١. قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}(١).

لا يخفى ما بين قصة إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والآية التي قبلها من أوجه الاتصال؛ إذ إن الآية التي تسبق القصة تُعد بمثابة العنوان لها، والإعلان عنها؛ فالآية تُعلن عن ولاية الله للمؤمنين وكفايته لهم، وكيف أن ولايته وكفايته لهم تكون سببًا في هدايتهم ونجاتهم وإخراجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم والحجة والبرهان، ثم جاءت القصة بعد ذلك لتكون مثالًا تطبيقًا لبيان أهمية تلك الولاية وهذه الكفاية الإلهية، والتي تمثلت في شخص الخليل إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكيف أن الولاية كانت سببًا هاديًا له في تلك المحاجة التي دارت بينه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين مدعي الألوهية، حينما قال له: أنا أحيي وأموت، فجاءت ولاية الله تعالى لإبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهدته إلى ما فيه نصره على خصمه، بالدليل القاطع الذي لا يقبل الشك، بقوله: إن الله يأت بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب، فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الكافرين.

هذا، ولما لم تكن للنمرود ولاية من الله تهديه، جاءه العمى من طاغوته

(١) سورة آل عمران، الآيتان، (٨،٩).

وشيطانه، فتمسك بحجته المزيفة، وجدله العقيم؛ لأن يأمر بقتل أحد جنوده. وهو لا يدري أوجه الفرق بين الموت والقتل، فهو يخرج من ظلمة إلى ظلمة، حائر لا يهتدي؛ لأنه يفتقر لولاية الله تعالى له.

يقول الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ:" الْكَلَامُ مُتَّصِلٌ بِمَا قَبْلَهُ وَشَاهَدٌ عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ كَيْفَ كَانَ يَهْتَدِي بِوِلَايَةِ اللهِ لَهُ إِلَى الْحُجَجِ الْقَيِّمَةِ وَالْخُرُوجِ مِنَ الشُّبَهَاتِ الَّتِي تُعْرَضُ عَلَيْهِ، فَيَظَلُّ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ، وَإِلَى الَّذِي حَاجَّهُ كَيْفَ كَانَ بِوَلَايَةِ الطَّاغُوتِ لَهُ يَعْمَى عَنْ نُورِ الْحُجَّةِ، وَيَنْتَقِلُ مِنْ ظُلْمَةٍ مِنْ ظُلُمَاتِ الشُّبَهِ وَالشُّكُوكِ إِلَى أُخْرَى"(١).

مثال٢. قوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}(٢).

وجه الاتصال بين قصة ابني آدم، والآيات التي قبلها، رغم ورودها في سياق حديث القرآن عن أهل الكتاب من اليهود وشأنهم مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم من خالفوا أمر الله تعالى في قتال الجبارين، وبين عقوبة أولئك الذين يخرجون على أئمتهم، فيهددون الأمن القومي للبلاد، وما تلاه بعد ذلك من عقوبة السارق، هو ذاك الشبه في صفتي الحقد والحسد، اللتين تأصلتا في نفوس كل مِنْ: المخالف أمر الله من اليهود، قاتل أخيه، الخارجين على أئمة الهدى والعدل، آكل أموال الناس بالباطل؛ فقد كانت هذه الصفات

(١) رشيد رضا، المنار، ٣/ ٣٩.

(٢) سورة المائدة، الآية، (٢٧).

سببًا في أن أعمت قلوبهم عن رؤية الحق، وأصمت آذانهم عن سماع الهدى.

يقول رشيد رضا: " فَمُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَاتِ لِلسِّيَاقِ فِي جُمْلَتِهِ؛ أَنَّهَا بَيَانٌ لِكَوْنِ الْحَسَدِ الَّذِي صَرَفَ الْيَهُودَ عَنِ الْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَمَلَهُمْ عَلَى عَدَاوَتِهِ.."[1].

- خامسًا: المناسبة بين القصة والقصة.

كما يجتهد رشيد رضا في إظهار المناسبة بين الآية والقصة، فإنه يجتهد أيضًا في الكشف عن المناسبات بين القصة والقصة.

مثال١. قوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}[2].

وجه المناسبة بين قِصَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ[3]، وقصة نَبَأ من آتَاهُ اللهُ آيَاتِهِ، فَانْسَلَخَ مِنْهَا، هو ذاك الشبه الحاصل بينهما، فكلا الفريقين مَنّ كل قصة قد

(١) رشيد رضا، المنار، ٦/ ٢٨٠.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان، (١٧٥،١٧٦).

(٣) بداية قصة بني إسرائيل، من قوله تعالى: {وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ.. إلى قوله تعالى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} سورة الأعراف، الآيات، (١٥٩-١٦٩).

مَنّ الله عليه بِمِنَنٍ جليلة، لكن كليهما قد بدل نعمة الله عليه بالعصيان، والفسوق، والإسراف. فأنزل الله بهم عذابه وعقابه، وتلك سنة الله العامة في خلقه ممن عصاه.

فالأُولى قصة بني إسرائيل، منّ الله عليهم بِمِنَنٍ كثيرة منها: دخول القرية التي جعلها الله لهم وطنًا وسكنًا، وإذنه لهم بأن يأكلوا منها حيث شاءوا، ثم شكره على هذه النعم بالسجود والخضوع والاعتراف بالنعمة والشكر للمُنْعِم، مع سؤال المغفرة، ووعدهم بمغفرة الذنوب والثواب العاجل، فَبَدَّلَوا وظَلَمُوا واستهانوا بأمر الله تعالى.

والقصة الأخرى، قصة رجل مَنّ الله تعالى عليه بتعليمه كتابه، فصار عالمًا كبيرًا وحبرًا نحريرًا، فانسلخ من ذلك العلم، ومن الاتصاف الحقيقي به، وبَّدل مكارم الأخلاق ومحاسن الأقوال والأفعال، بالخلود إلى الشهوات السفلية، والمقاصد الدنية. فنبذ كتاب الله وراءه ظهريًا، فتسلط عليه الشيطان.

يقول رشيد رضا: " ومناسبةُ هَذِهِ لِمَا قَبْلَهَا مُبَاشَرَةً؛ أَنَّهَا بَيَانٌ لِجَرَيَانِ سُنَّةِ اللهِ الْعَامَّةِ فِي عِقَابِ الْأُمَمِ، وَانْطِبَاقِهَا عَلَى الْيَهُودِ عَامَّةً، بَعْدَ بَيَانِ عِقَابِهِ تَعَالَى لِطَائِفَةٍ مِنْهُمْ"[1].

مثال٢. قوله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}[2].

وجه المناسبة بين القصتين، أن الله تعالى لَمّا ذَكَرَ ندائه لبني آدم بقوله:

(١) رشيد رضا، المنار، ٩/ ٣٢٠، ٣٢١.

(٢) سورة الأعراف، الآية، (٥٩).

{يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي..}[1]. أردف بعطف ذكر دعوة أول نبي مرسل، وهو نوح صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تحقيقًا لندائه في الآية السالفة الذكر، داعيًا قومه إلى توحيد الله تعالى، حيث لا إله لهم غيره، فإن هم أطاعوا ذلك أيدهم بتأييده، وأهلك المعاندين. في دلالة منه إلى أن دعوة المرسلين قد اتفقت على دين واحد. فما من رسول يأتي إلا، ويقول: {يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}[2].

يقول رشيد رضا: "هَذَا سِيَاقٌ جَدِيدٌ فِي قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ الْمَشْهُورِ ذِكْرُهُمْ فِي الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالشُّعُوبِ الْمُجَاوِرَةِ لَهَا، قَدْ سَبَقَ التَّمْهِيدُ لَهُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ نِدَاءِ اللهِ تَعَالَى لِبَنِي آدَمَ بِقَوْلِهِ: {يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ}[3] - إِلَى آخِرِ الْآيَتَيْنِ - وَمِنْهُ يُعْلَمُ وَجْهُ التَّنَاسُبِ وَاتِّصَالِ الْكَلَامِ"[1].

---

(١) سورة الأعراف، جزء من الآية، (٣٥).

(٢) وهو قول نوح صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقومه، في سورة الأعراف، الآية، (٥٩)، سورة المؤمنون، الآية، (٢٣)، وقول هود عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه، في سورة الأعراف، الآية، (٦٥)، سورة هود، الآية، (٥٠)، وهو قول صالح صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقومه، في سورة الأعراف، الآية، (٧٣)، سورة هود، الآية، (٦١)، وهو قول شعيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقومه، في سورة الأعراف، الآية، (٨٥). وهو قول عيسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقومه حيث قال لهم، {إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ}، في سورة آل عمران، الآية، (٥١)، سورة مريم، الآية، (٣٦). وبقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ}، في سورة المائدة، الآية، (٧٢)، سورة المائدة، الآية، (١١٧)، وبقوله أيضًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ} في سورة الزخرف، الآية، (٦٤).

(٣) رشيد رضا، المنار، ٨/ ٤٣٦. يشير إلى قوله تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، وَالَّذِينَ كَذَّبُوا

- سادسًا: المناسبة بين الأحكام الفقهية.

عند تناول السورة لمجموعة من الأحكام الفقهية، لابد وأن يكون لورود تلك الأحكام حكمٌ بالغةٌ، وغايةٌ نافذةٌ.

مثال١. قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ }(٢).

وجه مناسبة تعاقب ذكر الحكمين، هو أن من النصارى قسيسين يقومون بمهمة تعلم علم الكتاب، ورهبانًا يُنفّذون المطلوب من ذلك العلم، وبصنيعهم هذا، أصبحوا أقرب مودة للمؤمنين، ولما كان ذلك كذلك، قد يرغب بعض المؤمنين في التشبه بالنصارى في رهبانيتهم التي ابتدعوها، ظنًا منهم بأنها درجة عالية تقربهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وهي في مضمونها مناقضة لشريعة الإسلام، التي لا تُحّرم الطيبات على طريقة هؤلاء النصارى. فنزلت الآية كي تقطع الطريق أمام هذا اللبس في الفهم الذي قد يحدث، بنهي المؤمنين عن سلوك مثل هذا الطريق.

يقول رشيد رضا:" ذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ أَنَّ النَّصَارَى أَقْرَبُ النَّاسِ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا(٣)، وَذَكَرَ مِنْ سَبَبِ ذَلِكَ أَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا، فَكَانَ مِنْ

=

بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}. سورة الأعراف، الآيتان، (٣٥،٣٦).

(١) نفس المرجع، ٨/ ٤٣٦.

(٢) سورة المائدة، الآية، (٨٨).

(٣) سورة المائدة، الآية، (٨٢). الآية، {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ

=

مُقْتَضَى هَذَا أَنْ يَرْغَبَ الْمُؤْمِنُونَ فِي الرَّهْبَانِيَّةِ وَيَظُنَّ الْمَيَّالُونَ لِلتَّقَشُّفِ وَالزُّهْدِ أَنَّهَا مَرْتَبَةُ كَمَالٍ تُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَهِيَ إِنَّمَا تَتَحَقَّقُ بِتَحْرِيمِ التَّمَتُّعِ بِالطَّيِّبَاتِ طَبْعًا مِنَ اللُّحُومِ وَالْأَدْهَانِ وَالنِّسَاءِ، إِمَّا دَائِمًا كَامْتِنَاعِ الرُّهْبَانِ مِنْ الزَّوَاجِ أَلْبَتَّةَ، وَإِمَّا فِي أَوْقَاتٍ مُعَيَّنَةٍ كَأَنْوَاعِ الصِّيَامِ الَّتِي ابْتَدَعُوهَا، وَقَدْ أَزَالَ اللهُ تَعَالَى هَذَا الظَّنَّ، وَقَطَعَ طَرِيقَ تِلْكَ الرَّغْبَةِ بِقَوْلِهِ.."[1].

مثال٢. قوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا.... غَفُورٌ رَحِيمٌ}"[2]. ووجه المناسبة بين حكم من حضرته الوفاة، وبين حكم القصاص؛ أنه إذا كان الموت معناه انقطاع الحياة بسبب مباشر أو غير مباشر، فإن القصاص جزء أو فرع منه، لأنه انقطاع الحياة بسبب مباشر ومعروف وهو القصاص، فما يُطْلَب لمن يحضره الموت، يُطْلَب لمن يحضره القصاص، ولما كان ذلك كذلك، عطف الله تعالى آية الوصية لمن حضرته الوفاة، على آية حكم القصاص للمشابهة بين من يَلْقَى حتفه بالموت، وبين من يَلْقَى حتفه بالقصاص، وهو أن كليهما انقطاع للحياة عن صاحبها.

يقول رشيد رضا: "وَجْهُ التَّنَاسُبِ وَالِاتِّصَالِ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَاتِ وَمَا قَبْلَهَا، هُوَ أَنَّ الْقِصَاصَ فِي الْقَتْلِ ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الْمَوْتِ يُذَكِّرُ بِمَا يُطْلَبُ مِمَّنْ يَحْضُرُهُ الْمَوْتُ، وَهُوَ الْوَصِيَّةُ، وَالْخِطَابُ فِيهِ مُوَجَّهٌ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ بِأَنْ

أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}.

(١) رشيد رضا، المنار، ١٦/٧، ١٧.

(٢) سورة البقرة، الآية، (١٨٠).

يُوصُوا بِشَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ، وَلَا سِيَّمَا فِي حَالِ حُضُورِ أَسْبَابِ الْمَوْتِ وَظُهُورِ أَمَارَاتِهِ لِتَكُونَ خَاتِمَةُ أَعْمَالِهِمْ خَيْرًا"[1].

- سابعًا: المناسبة بين أجزاء السورة وخاتمتها.

يشير رشيد رضا في غير موضع من تفسيره إلى المناسبة بين فاتحة السورة وأجزائها وخاتمتها.

مثال١. قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ، أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ، فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ}[2].

ووجه الاتصال هنا أن الله تعالى لَمَا ذكر في بداية السورة، أنه بعث نبيه محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ}[3]. عطف عليه بذكر قصة نبي الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، تقريرًا وتأكيدًا للموافقة بين ما بُعث به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والنبيون من قبله، وهي الدعوة إلى توحيد الله تعالى، في دلالة منه على أنه ليس بدعًا من الرسل.

يقول رشيد رضا: " وَعِنْدِي أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ مَعْطُوفَةٌ عَلَى مَا فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ[4] مِنْ ذِكْرِ بِعْثَةِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ مَا

(١) رشيد رضا، المنار، ١٠٨/٢، ٧٩/٣.

(٢) سورة هود، الآيات، (٢٥-٢٧).

(٣) سورة هود، جزء من الآية، (٢).

(٤) سورة هود، الآيتان، (١،٢). الآيات، {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ

بُعِثَ بِهِ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ،.. وَأَنَّ حَالَهُ مَعَهُمْ كَحَالِ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - مَعَ أَقْوَامِهِمْ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا"(١).

مثال٢. قوله تعالى: {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ،قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ،لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ، قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}(٢).

والتناسب هنا ظاهر بين أجزاء السورة الكريمة، حيث ذكرت الأوامر والأحكام مفصلة بين ثناياها، ثم جاءت الخاتمة بخلاصة الأمر والقول الفصل، وكأن نهاية السورة هي خلاصة القول في التعريف الموجز بالصراط المستقيم.

يقول رشيد رضا:" وَهَذِهِ الْخَاتِمَةُ مُنَاسِبَةٌ لِجُمْلَةِ السُّورَةِ فِي أُسْلُوبِهَا وَمَعَانِيهَا؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَ مِمَّا امْتَازَتْ بِهِ السُّورَةُ كَثْرَةُ بَدْءِ الْآيَاتِ فِيهَا بِخِطَابِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَلِمَةِ (قُلْ) لِأَنَّهَا لِتَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ،.. فَجَاءَتْ هَذِهِ الْخَاتِمَةُ بِالْأَمْرِ الْأَخِيرِ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمُ الْقَوْلَ الْجَامِعَ لِجُمْلَةِ مَا قَبْلَهُ،

خَبِيرٍ، أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ}.

(١) رشيد رضا، المنار، ٥١/١٢. وانظر: (١٠/١٨٤،١٨٥، ١٠/٤٥٩، ٤٦٠).

(٢) سورة الأنعام، الآيات، (١٦١ - ١٦٥).

وَهُوَ أَنَّ مَا فُصِّلَ فِي السُّورَةِ هُوَ صِرَاطُ اللهِ الْمُسْتَقِيمُ.."[1].

- ثامنًا: المناسبة بين السورة والسورة.

لما طال الحديث عن المناسبات بين الآيات وبعضها؛ كان من الضروري ذكر المناسبات بين السور وبعضها، لذا، فإن رشيد رضا قد ألزم نفسه بالبحث عن ذكر المناسبة بين السورة والسورة، وبين السور وبعضها.

مثال١. المقارنة المقدمة بين سور القرآن، بداية من سورة البقرة وانتهاء بَالتَّوْبَةِ، يقول رشيد رضا: " سُورَةُ الْبَقَرَةِ أَجْمَعُ سُوَرِ الْقُرْآنِ لِأُصُولِ الْإِسْلَامِ وَفُرُوعِهِ،.. وَالسُّوَرُ الطِّوَالُ الَّتِي بَعْدَهَا مُتَمِّمَةٌ لِمَا فِيهَا، فَالثَّلَاثُ الْأَوْلَى مِنْهَا مُفَصِّلَةٌ لِكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَهْلِ الْكِتَابِ.. وَلَمَّا كَانَ أَمْرُ الْعَقَائِدِ هُوَ الْأَهَمُّ الْمُقَدَّمُ فِي الدِّينِ، وَكَانَ شَأْنُ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيهِ أَعْظَمَ مِنْ شَأْنِ الْمُشْرِكِينَ، قُدِّمَتِ السُّوَرُ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى مُحَاجَّتِهِمْ بِالتَّفْصِيلِ، وَنَاسَبَ أَنْ يَجِيءَ بَعْدَهَا مَا فِيهِ مُحَاجَّةُ الْمُشْرِكِينَ بِالتَّفْصِيلِ، وَتِلْكَ سُورَةُ الْأَنْعَامِ لَمْ تَسْتَوْفِ ذَلِكَ سُورَةٌ مِثْلُهَا، فَهِيَ مُتَمِّمَةٌ لِشَرْحِ مَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ.. وَجَاءَتْ سُورَةُ الْأَعْرَافِ بَعْدَهَا مُتَمِّمَةً لِمَا فِيهَا.. وَمِنَ التَّنَاسُبِ بَيْنَهُمَا فِي الْأَحْكَامِ أَنَّ سُورَةَ الْأَنْعَامِ قَدْ ذَكَرَتْ أَحْكَامَ الْأَطْعِمَةِ الْمُحَرَّمَةِ فِي دِينِ اللهِ وَالذَّبَائِحِ بِالْإِجْمَالِ، وَسُورَةُ الْمَائِدَةِ ذَكَرَتْ ذَلِكَ بِالتَّفْصِيلِ.. إلى أن قال: هَذَا مَا أَرَاهُ مِنْ وُجُوهِ التَّنَاسُبِ فِي الْكُلِّيَّاتِ بَيْنَ هَذِهِ السُّورَةِ الَّتِي شَرَعْتُ فِي تَفْسِيرِهَا وَبَيْنَ مَا قَبْلَهَا مُبَاشَرَةً، وَمَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا مُطْلَقًا"[2].

(١) رشيد رضا، المنار، ٨/٢١٠.

(٢) نفس المرجع، ٧/٢٤٠،٢٤١.

مثال٢. ويقول أيضًا في وَجْه مُنَاسَبَة سُورَةِ الأنفال لِلْأَعْرَافِ:" أَنَّهَا فِي بَيَانِ حَالِ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ قَوْمِهِ، وَسُورَةُ الْأَعْرَافِ مُبَيِّنَةٌ لِأَحْوَالِ أَشْهَرِ الرُّسُلِ مَعَ أَقْوَامِهِمْ، هَذَا هُوَ الْعُمْدَةُ"(١).

منهج رشيد رضا في علم المناسبات:

بعد أن أثبت البحث مدى اهتمام رشيد رضا بعلم المناسبات في تفسيره تحاول هذه الكلمات الإشارة إلى المنهج الذي سلكه رشيد رضا في بيان وجوه التناسب بين الآيات والسور، وذلك من خلال استنباط منهجه من المناسبات السابقة.

وقد تبين لي أنّ منهج رشيد رضا في عرض المناسبات القرآنية يعتمد على أمرين:

١. الدقة والإيجاز في العبارة.

٢. قلة التنظيم في عرض المناسبات.

وإليك تفصيل يسير لهذا الإجمال.

- أولاً: الدقة والإيجاز في العبارة

يتميز منهج رشيد رضا في ذكر المناسبات القرآنية بالدقة في العبارة والإيجاز الشديد، فهو يذكر وجوه المناسبة بين الآيات والسور والقصص. ولعل هذا يرجع إلى أن علم المناسبات في تفسير المنار لم يكن هو المقصد من كتابة التفسير، وإنما جاء علمًا، كأي علم من علوم القرآن المساعدة على

(١) رشيد رضا، المنار، ٩/٤٨٤.

الوصول إلى الهدف من كتابة التفسير.

ولإيضاح ذلك يمكن إيراد المثال التالي: في قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ، وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[1]. يذكر رشيد رضا وجه التناسب في هذه الآية بين كلمتي الجاهل والشيطان، شارحًا ذلك بعبارة دقيقة موجزة، فيقول: "وَمِنْ فُرُوعِهِ التَّنَاسُبُ بَيْنَ الْجَاهِلِينَ، أَيِ السُّفَهَاءِ الَّذِينَ أَمَرَتِ الْآيَةُ السَّابِقَةُ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُمُ اتِّقَاءً لِشَرِّهِمْ، وَبَيْنَ الشَّيَاطِينِ الَّتِي أَمَرَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ مِنْهُمُ اتِّقَاءً لِشَرِّهِمْ"[2].

وعليه، فالجاهل هو من يعلم قضية تخالف الواقع الذي هو فيه. فيحتاج إلى من يساعده على تغيير فهمه، ثم إقناعه بالقضية الصحيحة على الوجه المطلوب، أما الشيطان فهو من يعلم قضية موافقة للواقع الذي هو فيه، ومع ذلك يخالف فعله فهمه وقناعته. فالنسبة بينهما كنسبة العابد الذي يعمل مع جهله، إلى العالم الذي لا يعمل مع علمه.

- ثانيًا: قلة التنظيم في عرض المناسبات.

فرُغم أن رشيد رضا كان يبدأ تفسير الآية بذكر مناسبتها، غير أن ذلك لم يكن مطردًا في كل الآيات التي تناولها بالتفسير؛ لذلك، يُؤخذ عليه أن عرضه للمناسبات جاء عرضًا غير مرتب، وقلة الترتيب هذه، تتمثل في عدم إفراده للمناسبة عنوانًا مستقلًا، يتناول تحته المناسبة التي يُوردها عند ذكر الآية

(١) سورة الأعراف، الآيتان، (٩٩،١٠٠).

(٢) رشيد رضا، المنار، ٩/ ٤٥٠.

المراد تفسيرها، مما جعل ذكر هذه المناسبات متداخلًا مع العلوم الأخرى داخل التفسير، وقد يُعذر رشيد رضا في ذلك؛ لأنه لم يُخَصِص تفسيره لذكر هذا الفرع من العلم؛ ومن ثم فإن المناسبات عنده تنازع غيرها من العلوم الأخرى.

الخاتمة

من خلال البحث عن أوجه التناسب بين سور القرآن وآياته وقصصه، تجلت لنا مجموعة من النتائج والتوصيات تتمثل فيما يأتي:

أولاً: النتائج:

- أكدت الدراسة أن الْقُرْآن الكريم لَا يُشْبِهُ شَيء مِما كتبه ويكتبه الناس، فهو لَمْ يَأْتِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُؤَلِّفِينَ من حيث أُسْلُوبِهِ، ومِنْهَجِهِ وتَرْتِيبِهِ، ونظمه، لذلك كان تَأْثِيرُهِ في الْأَذْهَانِ تأثيرًا عجيبًا. ومن عجائبه أنه يوردُ الْأَحْكَام فِي سِيَاقِ الْوَقَائِعِ، لما لها من وقعٍ فِي النَّفْسِ قد يستَعْصِى عَلَى التَّأْوِيلِ وَالتَّحْرِيفِ.
- أظهرت الدراسة أن علم المناسبات علم شريف من جملة علوم القرآن؛ فهو مما يعين على بيان المقصود من القرآن الكريم، كما أن الناظر إلى حسن لفظ القرآن، وبراعة مسلكه، يجد وكأنه سبيكة واحدة، أو عقد نظيم، يترجح لديه بأن ترتيبه توقيفي من الله تعالى. ولعل هذا ما دفع المفسرين للبحث عن علله، إذ إن الترتيب لَمَا كان توقيفًا تعين أن يكون من وراء هذا التوقيف حكمًا ينبغي البحث عنها.
- كشفت الدراسة عن إمكانية استخلاص كتاب مستقل في مناسبات القرآن بأنواعها المختلفة من تفسير المنار، يكون مرجعًا مهمًا في بابه؛ وذلك لأن ما كُتب في مناسبات القرآن إذا قيس بما كتب في علوم القرآن الأخرى نجده نزرًا يسيرًا.
- بيّنت الدراسة أن موضوع التناسب بين آيات القرآن وسوره، والوحدة

الموضوعية للسورة القرآنية، وكذا الوحدة الموضوعية للقرآن كله، على اعتبار أنه كالكلمة الواحدة، هو من الموضوعات التي ينبغي أن تتفرغ لها جهود العلماء، والمهتمين بالدراسات القرآنية، فهو مما يعين على الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى.

ثانيًا: التوصيات:

القارئ لتفسير المنار يجد نفسه أمام موسوعةٍ علميةٍ خصبةٍ للدراسات العلمية في شتى ميادين العلم والمعرفة، من لغة، ونحو، وبلاغة، وعلم كلام، وغيرها كثير، فهو بحق موسوعة كبرى في معارف متنوعة.

وقد ظهر لي من خلال البحث، وجود بعض الموضوعات، التي يمكن إفرادها بالدراسة والبحث، منها:

- المناسبات في القرآن بين الرازي ورشيد رضا "دراسة مقارنة ".
- المناسبات القرآنية وأثرها في التجديد والإصلاح من خلال تفسير المنار.
- المناسبات في القرآن بين الرازي والشعراوي " دراسة مقارنة ".

المصادر والمراجع

- ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، د.ت.
- أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.
- إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.
- برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.
- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، (ت١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ط ١٧، دار العلم للملايين، بيروت، د.ت.
- عبد الرحمن بن محمد ابن إدريس الرازي ابن أبي حاتم، (ت٣٢٧هـ)، تفسير ابن أبي

حاتم، تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ والصحابة والتابعين، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٧م.

- عز الدين عبد العزيز ابن عبد السلام، (ت٦٦٠هـ)، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، ط١، المطبعة العامرة، الأستانة، ١٣١٣هـ.
- محمد بن جرير الطبري، أبو جعفر، (ت٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر للطباعة، د.ت.
- محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤٢١،١هـ، ٢٠٠٠م.
- محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي ت ٣٧٩ هـ، تاج العروس من جواهر القاموس، د. ت
- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، ١٩٩٥م.
- محمد رشيد بن علي رضا (ت١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- د. مشاري سعيد المطرفي، فتاوى العلامة محمد رشيد رضا الفقهية، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.
- د. وجيه محمود أحمد، المناسبات القرآنية في تفسير الفخر الرازي، دار المعرفة، ٢٠١٠م.

Sources and references

- abn sayidih , almahkam alqaws al'aezam , da.t.
- ahmad bin faris bin zakaria, 'abu alhusayn (t395h), muejam maqayis allughati, tahqiqu: eabd alsalam muhamad harun, dar alfikri, tu, 1399h/1979m.
- 'ahmad bin muhamad bin 'abi bakr bin khalkan 'abu aleabaas shams aldiyn , wafayat al'aeyan wa'anba' 'abna' alzaman, tahqiqu: 'iihsan eabaas , dar sadir , bayrut , da.t.
- 'iismaeil bin hamaad aljawhari(ti393hi) alsihah taj allughat wasihah alearabiati, tahqiqu: 'ahmad eabd alghafur eatara, dar aleilm lilmalayini, bayrut, ta4, 1407h / 1987m.
- badar aldiyn muhamad bin eabd allah alzarkashi, alburhan fi eulum alqurani, tahqiqu: muhamad 'abu alfadl 'iibrahim, dar 'iihya' alkutub alearabiati, eisaa albabi alhalbi, ta1, 1376h/ 1957m.
- burhan aldiyn 'abu alhasan 'iibrahim bin eumar albaqaeii, nazam aldarar fi tanasub alayat walsuwr, tahqiqu: eabd alrazaaq ghalib almahdi, dar alkutub aleilmiati, bayrut, 1415hi/ 1995m.
- jalal aldiyn eabd alrahman alsuyutiu , al'iitqan fi eulum alquran, tahqiqu: saeid almandub , dar alfikr , lubnan , t 1 , 1416 hi / 1996 m.
- jalal aldiyn eabd alrahman alsuyutiu , tanasuq aldarar fi tanasub alsuwr , tahqiqu: eabd alqadir 'ahmad eata , dar alkutub aleilmiat , bayrut , lubnan , t 1 , 1406 hi / 1986 m.
- jalal aldiyn eabd alrahman alsuyutiu , nazam aleiqyan fi 'aeyan al'aeyan , almaktabat aleilmiat , bayrut , da.t.
- khayr aldiyn bin mahmud bin muhamad bin ealiin bin faris, alzirikli aldimashqi, (t1396hi), al'aelami, dar aleilm lilmalayini, ta15, 2002m.

♣ subhi alsaalihi, mabahith fi eulum alqurani, t 17, dar aleilm lilmalayini, bayrut, da.t.
♣ eabd alrahman bin muhamad abn 'iidris alraazi abn 'abi hatim, (t327h), tafsir abn 'abi hatima, tafsir alquran aleazim msndan ean rasul allah ﷺ walsahabat waltaabieina, tahqiqu: 'asead muhamad altayib, maktabat nizar mustafaa albazi, makat almukaramati, ta1, 1997m
♣ eaz aldiyn eabd aleaziz aibn eabd alsalamu, (t660h), al'iisharat 'iilaa al'iijaz fi baed 'anwae almajazi, ta1 , almatbaeat aleamiratu, al'astanati, 1313hi.
♣ muhamad bin jarir altabri, 'abu jaefar, (t310h), jamie albayan ean tawil ay alquran, dar alfikr liltibaeati, da.t.
♣ muhamad bin eali alshuwkani (t1250h), fath alqadir, aljamie bayn faniyi alriwayat waldirayat min eilm altafsiri, dar alfikri, bayrut, da.t.
♣ muhamad bin eumar altamimi alraazi alshaafieii, fakhr aldiyni, mafatih alghib, dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta1,1421hi, 2000m.
♣ muhamad bin muhamad bin eabd alrzzaq alhusayni , 'abu alfayd , almlqqb bimurtamirt , alzabydy t 379 ha , taj alearus min jawahir alqamus , da. t
♣ muhamad bin makram bin manzur al'afriqiu almisriu (t711h), lisan alearbi, dar sadir, birut, da.ta, 1995m.
♣ muhamad rashid bin eali rida (t1354h), tafsir alquran alhakim (tafsir almanari), alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, 1990m.
♣ doctor mashari saeid almatrafii , fatawaa alealaamat muhamad rashid rida alfiqhiat , 1440 hi / 2019 m.
♣ doctor wajih mahmud 'ahmadu, almunasabat alquraniat fi tafsir alfakhr alraazi, dar almaerifati, 2010m.